سيرة النبي إيليا

الدكتور القس منيس عبد النور

Call of Hope . Stuttgart . Germany

سيرة النبي إيليا

بقلم الدكتور القس منيس عبد النور
الطبعة الأولى ١٩٨٩
جميع الحقوق محفوظة

All rights reserved

Order Number SPB 7160 A

German Title: Elia

English Title: Elijah

Call of Hope · P.O.Box 10 08 27 · 70007 Stuttgart · Germany

في هذا الكتاب

هذا الكتاب ٥
الفصل الأول: المطر يتوقف ٦
من هو إيليا: ٧
بداية خدمته: ٧
الغربان تعول إيليا: ٩
النهر يجف: ١١
أرملة تعول إيليا: ١٢
ابن الأرملة يموت ويقوم: ١٣
من هو النبي الحقيقي؟ ١٥
الفصل الثاني: الشجاعة تواجه الخوف ١٧
إيليا يقابل عوبديا: ١٨
الفصل الثالث: الله يواجه الوثن ٢٠
الوثنيون يبدأون: ٢٠
مواجهة كبيرة: ٢١
أصنام اليوم: ٢٣
دروس لنا: ٢٤
الفصل الرابع: المطر ينزل ٢٥
صلاة إيليا: ٢٥
لماذا سمع الله لإيليا؟ ٢٦
الفصل الخامس: إيليا يهرب ٢٩
التركيز على المشكلة: ٣٠
هل هو اختبار مضى؟ ٣١
إيليا يظلم: ٣٢
الله يطعم إيليا الهارب: ٣٣
الله يعاقب إيليا الهارب: ٣٤
الله يعلن نفسه لإيليا الهارب: ٣٥
الله يعيد تكليف النبي الهارب: ٣٦
دروس لنا: ٣٨

الفصل السادس: كرم نابوت ٤٠
الرغبة الخاطئة: ٤٠
بداية صغيرة: ٤١
نهاية سيئة: ٤٢
موت أخآب: ٤٣
موت إيزابل: ٤٣
الفصل السابع: إيليا يعلّم الملكين أخزيا ويهورام ٤٤
الملك أخزيا يقع: ٤٤
إيليا يقابل رسل أخزيا: ٤٤
درسان: ٤٦
رسالة من إيليا للملك يهورام: ٤٧
درسان من رسالة إيليا ليهورام: ٤٨
الخدمة للجميع: ٤٩
الفصل الثامن: إيليا يصعد للسماء ٥٠
إيليا يشق نهر الأردن: ٥١
مركبة نار تأخذ إيليا: ٥١
الفصل التاسع: إيليا في الإنجيل ٥٣
المعمدان بروح إيليا: ٥٤
على جبل التجلي: ٥٦
موضوع حديث التجلي: ٥٧
الفصل العاشر: إيليا البطل العظيم ٥٩
نبي الدينونة والنار: ٥٩
نبي الشجاعة: ٦٠
نبي الطاعة والصلاة: ٦١
مكانته في العهد الجديد: ٦٢
مسابقة في حياة إيليا ٦٣

هذا الكتاب

نتحدث في هذا الكتاب عن النبي العظيم إيليا، الذي وعظ وتنبأ في المملكة الشمالية، المعروفة بمملكة إسرائيل، وعاصمتها السامرة. وقد جاءت خدمته في وقت ضعُفت فيه عبادة الله الواحد الحيّ.

كان إيليا مستعداً دوماً لعمل مشيئة الله، مهما كانت التكلفة. واستمد القوة ليحمل المسئولية من حياة الصلاة والوجود في محضر الله دائماً.

لقد تحمّل إيليا مسئوليته كاملة في خدمة الرب، معتمداً تماماً على الإله الحي الذي «وقف أمامه» دائماً.

وقد أجرى الله بواسطة إيليا معجزات كثيرة، كلها معجزات رحمة توضح محبة الله وعنايته، ومعجزات قوة تعلن مجد الله وسلطانه، ليعود الشعب إلى عبادة الله الحقيقي.

ونلاحظ أنه كلما زاد الناس ضلالاً عن الله، أرسل لهم كلمته مؤيَّدة بالمعجزات، ليردَّهم إلى الرشد، وإلى عبادته.

ونحن نرجو للقارئ العربي العزيز أن يجد في سيرة النبي إيليا دروساً لحياته مع الله.

الدكتور القس منيس عبد النور

الفصل الأول: المطر يتوقف

ظهر النبي إيليا (وفي اللغة اليونانية اسمه إلياس) فجأة على مسرح التاريخ الديني، في أيام الملك أخآب، الذي حكم دولة إسرائيل وكانت عاصمتها السامرة آنذاك عام ٨٧٥ ق. م. وكان الملك أخآب ملكاً عظيماً، قاد بلاده إلى نجاح ثقافي واقتصادي وانتصارات عظيمة، وكان يحب السلام والفنون، كما أنه بنى مدناً وقصوراً حكت التوراة المقدسة عنها، حتى أنه بنى قصراً من العاج في يزرعيل، أحاطه بالحدائق الغناء، فكان محل إعجاب الجميع، حتى قال أحد المؤرخين: «لئِن كان العاج قد ظهر في مملكة إسرائيل في كرسي العرش الذي صنعه سليمان، فإن الملك أخآب في نجاحه العظيم غطى بيته كله بالعاج».

وكانت للملك أخآب قوة سياسية وحربية عظيمة، فقد ورد في النقوش الأشورية أنه أرسل ألفي مركبة حربية وعشرة آلاف من المشاة ليشتركوا مع جيش أرام (سوريا) في حربهم ضد مملكة أشور.

على أن التوراة المقدسة لا تقدم لنا الملك أخآب في عظمته الاقتصادية أو السياسية، لكنها تنتقده انتقاداً شديداً باعتباره الرجل الشرير الذي جرَّ شعبه إلى ارتكاب الخطأ وعبادة الأوثان، فقد تزوج من إيزابل ابنة «أثبعل» ملك صيدون، وكانت وثنية تعبد الصنم المعروف باسم «بعل» وعملت جهدها كله لتبيد عبادة الإله الحي الحقيقي وتقيم عبادة الصنم الذي تتعبَّد له، فقتلت أنبياء الله الأتقياء، ونشرت العبادة الوثنية، برضى زوجها الملك أخآب.

أيها القارئ الكريم، عندما يقيّمنا الله لا يزِنُنا بمقدار ما عندنا من مال أو علم أو جاه، لكن بمقدار ما فينا من حب له وتعبُّد لشخصه. فلئن كان الملك أخآب قمة في النجاح السياسي والحربي والاقتصادي، إلا أن المؤرخ المقدس في التوراة يحسبه شريراً فاسداً، وينسى كل إنجازاته المادية، لأنه انحرف عن عبادة الله.

«وَمَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟» (متّى ١٦: ٢٦).

ولا بد أن هناك سبباً سياسياً دفع الملك أخآب ليرفض عبادة الإله الواحد «الحي» ويوافق على أن يعبد شعبه الصنم «بعل»، فقد كان يخاف أن يذهب شعبه إلى مدينة أورشليم، حيث هيكل سليمان – وكانت أورشليم عاصمة المملكة الجنوبية المعروفة بمملكة يهوذا.

من هو إيليا:

في عام ٨٧٥ ق. م. وفي أثناء حكم الملك أخآب ظهر النبي العظيم إيليا ومعنى اسمه العبري «إلهي يهوه». ولا نعرف الكثير عن نشأة النبي إيليا، إلا أن التوراة المقدسة تقدّمه لنا باعتبار أنه إيليا التِّشْبِيّ من مستوطني جلعاد. كما تصفه بأنه رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويه. وقال بعض العلماء إن كلمة التشبي تعني «الغريب». وقد يكون المقصود أن إيليا الغريب كان من مستوطني جلعاد، فيكون أنه مجهول الأصل، ولكن الله اختاره ليكون نبياً عظيماً له. أو لعله من مدينة تِشْبه الواقعة في شرق الأردن في منطقة جلعاد. ولعل تسميته بهذا الاسم تعني أنه كان شخصاً غريباً، بمعنى أنه مختلف عن غيره، لأنه كان يقضي الكثير من وقته في الصحراء في محضر الله، يتعبَّد له، إلى اليوم الذي فيه دعاه الله ليكون نبياً.

بداية خدمته:

أول ما نقرأ عن النبي إيليا في التوراة المقدسة نقرأه في الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول حيث يقول: **«وَقَالَ إِيلِيَّا ٱلتِّشْبِيُّ مِنْ مُسْتَوْطِنِي جِلْعَادَ لأَخْآبَ: «حَيٌّ هُوَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ إِسْرَائِيلَ ٱلَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هٰذِهِ ٱلسِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي»** (١ملوك ١٧: ١). وهذا عقاب للذين هجروا عبادة

الله الحي. لقد أقام الله النبي إيليا لينقذ بلاده من عبادة البعل، أو من العبادة المختلطة بين عبادة الله وعبادة البعل. ولما رأى تفشّي تلك العبادة الوثنية السيئة، أدرك أن عقاب الله لا بد سيحلُّ على البلاد التي بعُدت عنه. كانت الظلمة حالكة في تلك الأيام، وقلَّ عدد الذين يعبدون الرب بإخلاص، وارتفع مذبحٌ للصنم يكفي لكثيرين من العابدين، وانتشرت الهياكل الوثنية في كل أرجاء مملكة بني إسرائيل. أما مذابح الإله الحي، مثل مذبح الكرمِل، فكان قد تهدَّم. واشتعلت نيران الاضطهاد، وأُغلقت مدارس الأنبياء. وكان الأنبياء والمخلِصون لعبادة الرب يطوفون في جلود غنم وجلود معزى، معتازين مكروبين مذلين (عبرانيين ١١: ٣٧). ووقف إيليا ينظر إلى هذه الحالة الشريرة وقد امتلأت نفسه بالغيرة لعبادة الرب. ترى ماذا عساه يفعل؟ لم يكن أمامه سوى أمر واحد، وهو أن يلجأ إلى الله مصلياً.

ويقول الإنجيل إن إيليا «صلى صلاة» (يعقوب ٥: ١٧) بمعنى أنه رفع لله صلاة حارة من أجل شعبه، فاشتعل غضب الرب عليهم، وأغلق السماء عنهم فلا تعود تعطي مطراً. وأدرك أن الله الحي سمع صلاته، فتوجَّه من الصحراء إلى العاصمة حيث الملك العظيم أخآب. ودون أن يخاف قال له: **«حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي»** (١ملوك ١٧: ١). ويا لها من ثقة عظيمة في استجابة الصلاة، ويا له من إيمان حي بالله القدير، ويا لها من صلاة مرعبة، فيها إعلان مخيف أعلنه النبي للملك في شجاعة وجرأة دون خوف.

كان إيليا يصلي، وكان واثقاً أن صلاته لا بد أن تُستجاب. ولم يكن سرُّ شجاعة إيليا في شخصه، ولا في الظروف التي عاش فيها. لكن لأنه وضع ثقته في الله قال: «حي هو الرب» فكل مَن هو غيْر الله قابلٌ للموت، أما الله فإنه الحي الذي قال عنه أيوب: **«فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ»** (أيوب ١٩: ٢٥). ثم قال إيليا: «الرب الذي أنا واقف أمامه»، لقد وقف إيليا أمام الله الحق، فاستطاع أن يواجه الملك الشرير في غير خوف، ليعلن له قضاء الله وعقابه.

ليتنا ندرِّب أنفسنا على أن نتحقَّق دائماً من وجودنا في حضرة الله، وهذا يرفعنا فوق كل خوف. دعنا نحيا ونتحرك ونوجد، يسودنا فكر واحد هو أن الله هنا، وأنا أقف أمامه وفي محضره. وعندها تتحقق لنا استجابة الصلوات الغالبة المنتصرة، وندرك أن الله الحي يرى ويسمع ويستجيب ويبارك.

كان إيليا متأكداً أن الله حي، وكان قد وقف مصلياً في محضره، إلى أن استمد منه القوة والشجاعة. ولقد قلنا أن كلمة إيليا معناها: «إلهي يهوه». فعندما خصَّص إيليا نفسه للرب، وجد سرَّ القوة. إن كان الله حِصْنه فممّن يرتعب؟ وعندما اقترب إليه الأشرار ليأكلوا لحمه، مضايقوه وأعداؤه عثروا وسقطوا، كما يقول النبي داود في مزموره السابع والعشرين. ولذلك استطاع أن يهتف: **«ٱلرَّبُّ قُوَّتِي وَنَشِيدِي، وَقَدْ صَارَ خَلاَصِي»** (خروج ١٥: ٢).

الغربان تعول إيليا:

توقَّف نزول المطر بناءً على صلاة إيليا، وبدأت الأرض تعاني من الجفاف. تُرى مَن يعول إيليا وقت المجاعة؟ تقول التوراة إن الله أصدر أمره إلى إيليا: **«ٱنْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ ٱلْمَشْرِقِ، وَٱخْتَبِئْ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثَ ٱلَّذِي هُوَ مُقَابِلُ ٱلأُرْدُنِّ، فَتَشْرَبَ مِنَ ٱلنَّهْرِ. وَقَدْ أَمَرْتُ ٱلْغِرْبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ»** (١ملوك ١٧: ٣، ٤) فانطلق النبي إيليا وعمل حسب كلام الرب، وذهب فأقام عند نهر كريث الذي هو مقابل الأردن (ولعله هو المعروف اليوم باسم فصيل، شرق الأردن). كانت الغربان تأتي للنبي إيليا بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساءً، وكان يشرب من النهر... يا للمعجزة!!

ألا ترى معي أن قول التوراة: «كان كلام الرب إلى إيليا» يعني أن الله دوماً يكلّمنا، ويعلن لنا مشيئته الصالحة المرضية الكاملة. تأتيك كلمة الله من خلال الكتاب المقدس، وتأتيك من خلال تأثير يطبعه روح الله على قلبك، وتأتيك كلمته في بعض الظروف الخاصة. وكيفما جاءتك فإنها يجب أن تجدك مستعداً أن

تسمعها، لأنك تقول للرب ما قاله النبي صموئيل: **«تَكَلَّمْ يَا رَبُّ لأَنَّ عَبْدَكَ سَامِعٌ»** (١صموئيل ٣: ٩).

إن أمر الله للنبي إيليا أن يختبئ عند نهر كريث يعلّمنا أننا يجب أن نجد مكاناً نختلي فيه بالله، كما قال السيد المسيح لتلاميذه: **«تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ»** (مرقس ٦: ٣١). لا شك أن النبي إيليا كان محتاجاً إلى وقت يختلي فيه بالرب. لقد وقف أمام الملك أخآب في غير خوف، وقال له: **«لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي»** (١ملوك ١٧: ١). ولذلك كان معرَّضاً لأن تصيبه خطية الكبرياء – ربما يظن نفسه أنه عظيم – ولذلك طلب الله منه أن يختلي بعيداً وحده عند نهر كريث ليقيم في محضر الله، ليدرك أن الله هو الكل في الكل.

أحياناً نحس أننا شيء، والواقع أننا لسنا شيئاً، فقد قال لنا السيد المسيح: **«بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً»** (يوحنا ١٥: ٥). ربما يطلب منك الله أن تختبئ على فراش مرض، أو في مواجهة خسارة، أو في فَقْد أحباء. في مثل هذا الوقت الذي يهجرك فيه الناس وتحسّ أنك وحيد، لا يستطيع أحد أن يشاركك المتاعب التي تجتاز فيها، عندها أرجوك أن تدرك أن الله حيٌّ إلى جوارك، وأنه يريدك أن تتحدَّث إليه. فعندما تغلق باب غرفتك عليك، أو عندما تنغلق نفسياً وأنت وحيد بسبب الآلام التي تجوز فيها، أرجوك أن تدرك أن الله يخبّئك لتختلي به ولتتحدث إليه، ولتكون قريباً من قلبه.

وكم كان غريباً أن يطعم الله نبيه بأمْر الغربان أن تعوله، فكانت الغربان تأتي إلى إيليا بخبز ولحم صباحاً وبخبز ولحم مساء، وكان يشرب من ماء نهر كريث. يوماً بعد يوم، ظلت الغربان تجيء بالطعام إلى إيليا. لا شك أنه كان ينتظر في مطلع كل يوم أن تجيء الغربان إليه حاملة طعامه. ترى هل تساءل إيليا يوماً: هل ستجيئني الغربان بالخبز واللحم هذا المساء، أو هل ستتوقَّف عن أن تطعمني؟ ربما سأل هذا السؤال، لكن المهم أن الله عاله، وكلَّف تلك الطيور التي تخطف أن تخدم خادمه. وعندما نصلي نحن الصلاة الربانية قائلين: **«خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا**

ٱلْيَوْمَ» (متّى ٦: ١١) ندرك أن إلهنا يدبّر كل ما نحتاج إليه.

ونلاحظ أن الله قال لإيليا: «أمرتُ الغربان أن تعولك هناك». وكلمة هناك مهمة، لأنها تحدد المكان الذي يريد الله أن يكون نبيُّه فيه. وأنت، عندما تطيع الله وتتواجد في المكان الذي يريدك أن تكون فيه، عندها يعولك ويضمن احتياجاتك، لذلك قال السيد المسيح: **«ٱطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ ٱللهِ وَبِرَّهُ، وَهٰذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ»** (متّى ٦: ٣٣). وعندما تطلب بر الله وملكوته سوف يزيد الله لك البركات التي تحتاج إليها.

النهر يجف:

وبعد مدة من بقاء إيليا بجوار نهر كريث، تقول التوراة إن النهر يبس بسبب عدم هطول المطر. لقد جفَّت مراعي الجبال، وكأنَّ ألسنة نيران اندلعت فأفنَتْها، ولم يعد الندى يبلّل الأرض. ترى ماذا جال في خاطر إيليا في ذلك الوقت؟ لا بد أنه كان ينتظر الله صامتاً، يفعل ما قاله المرنم في مزموره: كان يسكّت نفسه كفطيم نحو أمه (مزمور ١٣١: ٢) وهو يقول: **«إِنَّمَا لِٱللهِ ٱنْتَظِرِي يَا نَفْسِي، لأَنَّ مِنْ قِبَلِهِ رَجَائِي»** (مزمور ٦٢: ٥). عندما تيبس كل الأنهار، يريد الله أن يعلّمك أن تتكل على شخصه وليس على عطاياه، ويريدك أن تدرك أن سواقي الله ملآنة ماء (مزمور ٦٥: ٩). فتُلقي اتكالك بالتمام عليه وعلى حكمته. وتختبر معنى قول السيد المسيح: **«كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هٰذَا ٱلْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضاً. وَلٰكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى ٱلأَبَدِ»** (يوحنا ٤: ١٣، ١٤).

أحياناً نطمئن إلى وضع معيَّن ونستقر عليه، ويريدنا الله أن نعتمد عليه وحده. ترى ماذا تفعل لو أنك واجهت مثل هذا الموقف الذي واجهه إيليا؟ هل تظن أن الله نسيك؟ هذا ما لم يحدث مع إيليا، ففي الوقت المناسب تماماً أصدر الله أوامره مرة أخرى إلى نبيّه، وهو دوماً يرشد الذين يحبونه في الموعد المناسب ليتخذوا القرار المناسب. فتقول التوراة إنه «بعد مدة من الزمان يبس نهر كريث، لأنه لم

يكن هناك مطر». وجعل إيليا يرقب هذا النهر وهو ييبس أسبوعاً بعد أسبوع. ولا بد أن الشكوك هاجمته، ولكنه لم يسمح لظروفه أن تعطّل إيمانه. صحيح أن الشك ينظر إلى الله من خلال الظروف، أما الإيمان فإنه يضع الله بينه وبين الظروف. الإيمان ينظر إلى ظروفه عن طريق الله.

أرملة تعول إيليا:

وفي الموعد المناسب أمر الله نبيه إيليا: **«قُمِ ٱذْهَبْ إِلَى صِرْفَةَ ٱلَّتِي لِصَيْدُونَ وَأَقِمْ هُنَاكَ. هُوَذَا قَدْ أَمَرْتُ هُنَاكَ أَرْمَلَةً أَنْ تَعُولَكَ»** (١ملوك ١٧: ٩) فأطاع إيليا فوراً. ولما وصل إلى باب المدينة رأى أرملة تقشُّ عيداناً فناداها وقال: **«هَاتِي لِي قَلِيلَ مَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَأَشْرَبَ»** (١ملوك ١٧: ١٠). ربما نظن أن النبيَّ إيليا التقى بها من باب الصدفة، لكن ليس عند الله صدفة، فإن ما تراه العين البشرية صدفة تراه عين الإيمان تدبيراً من العناية الإلهية، ولا شك أن الله كان قد دبَّر قدوم الأرملة لتلتقي بإيليا، لأن الله كان قد قال له: **«هُوَذَا قَدْ أَمَرْتُ هُنَاكَ أَرْمَلَةً أَنْ تَعُولَكَ»**. ولعل هذا هو السبب الذي جعلها تطيع أمر إيليا، فتذهب في صمت وهدوء لتأتي إليه بكأس ماء بارد. ووجد النبي في قبول الأرملة لطلبه ما شجَّعه أن يطلب منها أيضاً أن تأتيه بكسرة خبز. وكان هذا طلباً متواضعاً، ولكنه حرَّك أوجاعاً كامنة في نفس المرأة، فلم يكن لديها كسرة خبز، بل كان كل ما تمتلكه ملء كف من الدقيق وقليل من الزيت، كانت تريد أن تعمل منه كعكة لها ولابنها ثم يموتان جوعاً. ولكن إيليا المؤمن قال للمرأة: **«لاَ تَخَافِي. ٱدْخُلِي وَٱعْمَلِي كَقَوْلِكِ، وَلٰكِنِ ٱعْمَلِي لِي مِنْهَا كَعْكَةً صَغِيرَةً أَوَّلاً وَٱخْرُجِي بِهَا إِلَيَّ، ثُمَّ ٱعْمَلِي لَكِ وَلِابْنِكِ أَخِيراً. لأَنَّهُ هٰكَذَا قَالَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ إِسْرَائِيلَ: إِنَّ كُوَّارَ ٱلدَّقِيقِ لاَ يَفْرُغُ، وَكُوزَ ٱلزَّيْتِ لاَ يَنْقُصُ، إِلَى ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي فِيهِ يُعْطِي ٱلرَّبُّ مَطَراً»** (١ملوك ١٧: ١٣ و١٤).

إننا نقف في انذهال أمام عظمة إيمان النبي إيليا في توجيه الرب له: «أمرت أرملة أن تعولك» – ولا شك أن الأرملة لن تعول إيليا بما عندها، لكن بما يعطيه

الرب لها. ولما كان كل ما عندها قليل من الدقيق، وقليل من الزيت، فإن الله لا بد أن يبارك في هذا القليل ليكون كثيراً. وينقلنا هذا إلى مشهد أقام فيه المسيح وليمة أطعم فيها خمسة آلاف بخمس خبزات وسمكتين، إذ أخذ وبارك وأعطى تلاميذه ليوزّعوا على الجموع، فوجد كل إنسان احتياجه، وأكل بحسب ما احتاج. وهذا ما حدث مع الأرملة التي أطاعت نداء الله، فإن كُوَّار الدقيق لم يفرُغ، وكوز الزيت لم ينقص حسب قول الرب الذي تكلم به بواسطة إيليا.

ونقف أيضاً في انذهال أمام عظمة إيمان الأرملة التي قالت لإيليا: **«حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُكَ»** (١ملوك ١٧: ١٢). إنها تعلم أن الإله الذي أرشد إيليا هو الإله الحقيقي وهو الإله الحي. ففي وسط الظلمة التي سادت البلاد في عبادة الأوثان، وُجدت تلك السيدة التقية التي علمت أن الله حي وموجود، يستطيع أن يعمل المعجزة ويدبّر، لأنه إله المستحيلات. إن لم تنفع الطرق العادية لتساعدنا، فإن الله يدبّر لنا احتياجنا بطرق معجزية، والمطلوب منا أن نحيا حياة الطاعة لله.

وأنت أيها القارئ، عندما تقول «إن الرب حي» كَرِّرْها لأنك تؤمن بها، ولأنك تدرك أن إلهك الحي يدبر احتياجاتك. وما أجمل ما قال السيد المسيح: **«لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ ٱلْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ ٱلطَّعَامِ، وَٱلْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ ٱللِّبَاسِ؟ ٱنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ ٱلسَّمَاءِ: إِنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلاَ تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ ٱلسَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِٱلْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا»** (متّى ٦: ٢٥، ٢٦).

ابن الأرملة يموت ويقوم:

كان لأرملة صرفة، حيث أقام النبي إيليا، ابن وحيد، اشتدَّ به المرض ذات يوم ومات. فجاءت الأرملة إلى إيليا تصرخ: **«مَا لِي وَلَكَ يَا رَجُلَ اللهِ! هَلْ جِئْتَ إِلَيَّ لِتَذْكِيرِ إِثْمِي وَإِمَاتَةِ ابْنِي؟»** (١ملوك ١٧: ١٨). يبدو من كلام المرأة أن حياتها تلوَّثت من قَبْل بلوثة أخلاقية، بقيت جاثمة أمامها كإثم لا يُغتفَر. ونحن لا ندري

ما هو ذلك الإثم. هل كان يتعلق بميلاد ولدها هذا؟ إن ضمير الإنسان منّا قد ينام فترة، لكن هناك دوماً ما يوقظه. وعلينا ألا نسكت على إثم إلا ونعترف به، لأنه: **«إِنِ ٱعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ»** (١يوحنا ١: ٩).

ولما سمع إيليا الكلمات القاسية التي وجَّهتها له الأرملة لم يوبخها، ولم يجاوب عليها بخشونة، ولكنه قال لها: «أعطيني ابنك». وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيماً بها، وأضجعه على سريره، وصرخ إلى الرب وقال: **«أَيُّهَا ٱلرَّبُّ إِلٰهِي، أَأَيْضاً إِلَى ٱلأَرْمَلَةِ ٱلَّتِي أَنَا نَازِلٌ عِنْدَهَا قَدْ أَسَأْتَ بِإِمَاتَتِكَ ٱبْنَهَا؟»** (١ملوك ١٧: ٢٠).

لا شك أن إيليا كان متألماً من توبيخ الأرملة له، كما كان متألماً من الكارثة التي حلَّت بها. وإيليا في هذه الكلمات يذكِّرنا بما سبق أن قاله كليم الله موسى عندما رجع إلى الرب وقال: **«يَا سَيِّدُ، لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى هٰذَا ٱلشَّعْبِ؟ لِمَاذَا أَرْسَلْتَنِي؟»** (خروج ٥: ٢٢).

ولم يغضب الرب من إيليا، ولكنه غفر له، لأن الله يعرف اللغة الصادرة من قلب متألم مُخْلص. والله يفضّل أن نأتي إليه بإخلاص، مهما كان هذا الإخلاص ضعيفاً، مهما كان التعبير عنه غير لائق. إن الله يريد أن تتعانق روح المؤمن مع روحه هو، في الحب والألم، مهما كانت الظروف التي نعيش فيها.

ثم أخذ إيليا جثة الولد وتمدَّد عليها ثلاث مرات وصرخ إلى الرب قائلاً: **«يَا رَبُّ إِلٰهِي، لِتَرْجِعْ نَفْسُ هٰذَا ٱلْوَلَدِ إِلَى جَوْفِهِ»** (١ملوك ١٧: ٢١). فسمع الرب صلاة إيليا وقام الولد من موته. فأخذه إيليا ونزل به من عِليته إلى البيت، ودفعه إلى أمه وقال لها بلهجة الشكر لله والانتصار: «أُنظري، ابنك حي». فقالت المرأة لإيليا: **«هٰذَا ٱلْوَقْتَ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلُ ٱللهِ، وَأَنَّ كَلاَمَ ٱلرَّبِّ فِي فَمِكَ حَقٌّ»** (١ملوك ١٧: ٢٣، ٢٤).

من هو النبي الحقيقي؟

النبي الحقيقي هو الذي يستخدمه الله ليقيم موتى الخطية لحياة التقوى ومخافة الله. وهو الذي يؤازره الله بمعجزات من عنده، كما آزر موسى وإيليا وبطرس وبولس وغيرهم من رجاله الصادقين.

كانت معجزة إقامة الميت معجزة كبيرة، أجراها الله على يد نبيه إيليا.

فكيف حقق إيليا هذه المعجزة؟ لقد أخذ الولد الميت من حضن أمه وصعد به إلى العِلية التي كان مقيماً فيها، وأضجعه على سريره وصرخ إلى الرب. وفي تواضع تمدَّد على الولد. أليس عجيباً أن نرى رجلاً عظيماً يصرف وقتاً ومجهوداً على هذا الهيكل الجسدي الفاني، ويرضى أن يلتصق بذلك الميت، الذي تقول شريعة موسى إنه ينجّسه؟ لكن إيليا في تواضع حقيقي تناسى هذا كله وبدأ يصلي للولد وهو متمدّد عليه في مثابرة، وصرخ إلى الرب ثلاث مرات دون أن يتطرَّق اليأس إلى قلبه. إن صلاة إيليا الثلاثية تجعلنا نتذكر قول السيد المسيح: **«يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ»** (لوقا ١٨: ١). ولقد لقي تضرع إيليا نعمة عند الله، فسمع الرب صلاته وأقام الولد من موته، ويقول التقليد اليهودي الذي وصلنا بالتواتر إن هذا الولد كبر ليكون يونان النبي، الذي أرسله الله إلى نينوى كارزاً بالخلاص.

أيها القارئ الكريم، إننا نوجّه إليك دعوة الآن أن لا تخبئ خطيتك داخل نفسك كما فعلت تلك الأرملة، بل أن تعترف بها لله الذي يغفر لك ويطهر قلبك من دنس الذنوب. ونريد أن نؤكد لك أن المسيح الحي يريد أن يهبك الحياة الأبدية، إن أنت وضعت ثقتك فيه، **«لأَنَّهُ هٰكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلأَبَدِيَّةُ»** (يوحنا ٣: ١٦). كما نؤكد لك أن الإله المحب سيبارك حياتك لتعمل معه على إقامة غيرك من موتى الخطية للحياة الجديدة في المسيح.

ونوجه إليك دعوة أخرى: قد تكون ساكناً في أمان، كما سكن إيليا عند أرملة

صرفة، ولكن الله يكلّفك أن تقوم بخدمة خطيرة له – كن مستعداً أن تحيا في سلام، وأن تجاهد أيضاً في سبيل الله. إن الجهاد هو الذي يقوي عضلات الإيمان ويزيده.

الفصل الثاني: الشجاعة تواجه الخوف

بعد أيام كثيرة تكلم الرب مع إيليا مرة أخرى وأمره أن يرحل عن بيت الأرملة. لقد مرَّت عليه عدة شهور وهو في عزلته في صرفة، في أثنائها التصقت نفسه بنفس الأرملة وابنها بأقدس الروابط، كما تقدَّس ذلك البيت وعليته وكُوَّار الدقيق وكوز الزيت بأبهج الذكريات عن عناية الله العجيبة بشعبه.

وتقول التوراة: **«بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ كَانَ كَلاَمُ ٱلرَّبِّ إِلَى إِيلِيَّا فِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ: «ٱذْهَبْ وَتَرَاءَ لأَخْآبَ فَأُعْطِيَ مَطَراً عَلَى وَجْهِ ٱلأَرْضِ»** (١ملوك ١٨: ١). لقد كان هذا التكليف الإلهي صعباً. كيف يلتقي إيليا بالملك أخآب، والملك يبحث عنه في كل الممالك المجاورة ليوقع به الأذى، بعد أن امتنع هطول المطر على البلاد ثم سادها الجفاف القاتل؟ ولكن النبي إيليا أطاع هذا الأمر الإلهي، وخرج عن عزلته في صرفة ليلتقي بالملك. ولا شك أن إيليا شجَّع نفسه بالكلمات التي تعلَّمها عندما التقى بالملك الشرير أخآب في المرة الأولى، وقال له: «حيٌّ هو الرب الذي أنا واقف أمامه». ولا شك أن إيليا تشجع بكلمات مثل الكلمات التي جاءت في المزمور السابع والعشرين لداود: **«ٱلرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي، مِمَّنْ أَخَافُ؟ ٱلرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي، مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟ عِنْدَ مَا ٱقْتَرَبَ إِلَيَّ ٱلأَشْرَارُ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي، مُضَايِقِيَّ وَأَعْدَائِي عَثَرُوا وَسَقَطُوا»** (مزمور ٢٧: ١ و٢).

وعندما خرج إيليا من مخبئه عند الأرملة، بدأ يسير وسط البلاد قاصداً العاصمة. ولا شك أن قلبه انكسر حزناً على جوع الجائعين. ولكن عندما وصل إلى السامرة كان الجوع هناك أكثر، لأن التوراة تقول: **«كَانَ ٱلْجُوعُ شَدِيداً فِي ٱلسَّامِرَةِ»** (١ملوك ١٨: ٢). وكنا ننتظر أن يخصّص الملك أخآب وقته لتخفيف بؤس شعبه، أو أن يرجع إلى الله تائباً حتى يرسل الله المطر. لكن شيئاً من هذا لم يحدث بل بالعكس، فقد حَصَرَ الملكُ همَّه كله في إطعام خيله وبغاله، ووجَّه كل اهتمامه إلى إنقاذ ما

يمكن إنقاذه من حيواناته، ولذلك قام برحلة بحث عن العشب، وكان أوْلَى به قبل أن يبحث عن العشب أن يبحث عن رضى الله عليه.

إن الملك أخآب في تصرُّفه هذا يذكّرنا بالذين يركبون السيارات الفخمة ويأكلون الطعام الفاخر، دون أن يبالوا بالجائعين المساكين الذين هم أصل ثروتهم. إن محبة الذات هي التي تنفق على أثاث البيوت، وعلى كلاب الصيد والملاهي، أكثر مما يحتاجه الأمر لاستمرار عمل الله.

إيليا يقابل عوبديا:

في أثناء خروج نبي الله إيليا ليلتقي بالملك أخآب، التقى بشخص يشغل مركزاً خطيراً في البلاط الملكي اسمه عوبديا، كان الوكيل المتصرف على القصور، وهي وظيفة تعادل اليوم وزير القصور والتشريفات الملكية. وكان عوبديا رجلاً تقياً يخشى الرب منذ صباه. وقد بيَّن عوبديا محبته لله، لأنه عندما اضطهدت إيزابل رجال الله وطاردت أنبياءه لتقتلهم، نجَّى عوبديا الصالح مئة من هؤلاء الأنبياء، وخبأهم خمسين خمسين في المغاير، وعالهم بخبز وماء. ومع أن عوبديا كان رجلاً صالحاً، إلا أنه لم يكن يملك الشجاعة الأدبية، وإلا لما استطاع أن يبقى في وظيفته بالقصر، يخدم أخآب الشرير وزوجته الوثنية إيزابل. كان عوبديا لا يؤمن بأن يكون متطرّفاً. صحيح أنه لم يكن راضياً عن الحوادث التي تجري حوله، ولا بد أنه كان يتألم مما يراه في القصر الملكي من تحطيم لشريعة الله، لكنه كان يدرك أن طَرْده من الوظيفة لن يُصلِح تلك الأخطاء. وكان واثقاً أن الملك سيطرده من وظيفته لو أنه جاهر بآرائه. وكلما فكر عوبديا فيما يقاسيه أنبياء الله، اشتد حزنه، وفكَّر أن يدافع عن قضيتهم. لكنه كان يرى أن شخصاً واحداً مِثْلَه لن يقدر أن يفعل شيئاً ليغيّر سياسة الدولة بكاملها، ولذلك فضَّل أن يساعد أنبياء الله بطريقة هادئة، ويظل في مكانه، ولو كان في ذلك كسر لمبادئه. ولعله لهذا السبب قال إيليا لعوبديا: **«اذْهَبْ وَقُلْ لِسَيِّدِكَ: هُوَذَا إِيلِيَّا»** (١ملوك ١٨: ٨).

هناك كثيرون يعرفون الحق، ويحاولون أن يفعلوه سراً، لكنهم لا يتكلمون عنه إلا نادراً. ولا يوبّخون الخطية مطلقاً، ولا يُظهِرون حقيقة أمرهم، كما فعل عوبديا. وعندما يسمعون عن اضطهاد يحلّ بالمؤمنين يشتدّ حزنهم، ولكن لا يخطر ببالهم أن يقفوا بجانبهم أو يشجعوهم، ويسكّتون ضمائرهم الثائرة عليهم بتقديم بعض الخدمات البسيطة لرجال الله المطارَدين. وبينما هم يُخْفُون هذه المساعدات عن العالم، يُبْرزونها أمام أولاد الله كدليل على إخلاصهم وغيرتهم. فقد جاوب عوبديا إيليا بقوله: «**أَلَمْ يُخْبَرْ سَيِّدِي بِمَا فَعَلْتُ... إِذْ خَبَّأْتُ مِنْ أَنْبِيَاءِ ٱلرَّبِّ مِئَةَ رَجُلٍ؟**» (١ملوك ١٨: ١٣).

وما أعظم الفرق بين إيليا الشجاع الذي وقف وقفة قوية لله، لأنه يعلم أن إلهه حي، وهو يقول: «الرب الذي وقفتُ أمامه». وبين عوبديا الذي يخبّئ عبادته داخل قلبه، لأنه يخاف على مركزه وعلى مكانته. إن هناك فرقاً كبيراً بين التقوى السلبية والتقوى الإيجابية، وهناك فرق بين الإحتياط للظروف وبين جسارة الإيمان – ذلك أن الإيمان الحقيقي يقف في مواجهة الصعوبات في غير خوف، لأن صاحبه يدرك أن الله معه وأنه حي، ويدرك معنى قول المسيح: «**طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا**» (متّى ٥: ١١ و١٢).

الفصل الثالث: الله يواجه الوثن

في السنة الثالثة أمر الرب نبيَّه إيليا أن يتَّجه إلى الملك أخآب ليقول له إن الرب سيعطي مطراً على وجه الأرض. وكان الجوع شديداً، وكان الملك يفتّش على مراعٍ لمواشيه، دون أن يهتم بمصلحة الشعب الفقير البائس. واتَّجه إيليا إلى حيث كان أخآب، فقال له الملك: «**أَأَنْتَ هُوَ مُكَدِّرُ إِسْرَائِيلَ؟**». فأجاب إيليا: «**لَمْ أُكَدِّرْ إِسْرَائِيلَ، بَلْ أَنْتَ وَبَيْتُ أَبِيكَ بِتَرْكِكُمْ وَصَايَا الرَّبِّ وَبِسَيْرِكَ وَرَاءَ الْبَعْلِيمِ** (الأصنام والأوثان)». ثم طلب النبي من الملك أن يجمع له أنبياء الصنم ليواجههم في امتحان قاس يشهده الشعب جميعاً. ووافق الملك على تلك المواجهة (١ملوك ١٨: ١٧-٢١).

وفي اليوم المحدد جاء أنبياء الأوثان، كما جاء كثيرون من الشعب. فقال إيليا للشعب: «**أَنَا بَقِيتُ نَبِيّاً لِلرَّبِّ وَحْدِي، وَأَنْبِيَاءُ ٱلْبَعْلِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ رَجُلاً. فَلْيُعْطُونَا ثَوْرَيْنِ، فَيَخْتَارُوا لأَنْفُسِهِمْ ثَوْراً وَاحِداً وَيُقَطِّعُوهُ وَيَضَعُوهُ عَلَى ٱلْحَطَبِ، وَلٰكِنْ لاَ يَضَعُوا نَاراً. وَأَنَا أُقَرِّبُ ٱلثَّوْرَ ٱلآخَرَ وَأَجْعَلُهُ عَلَى ٱلْحَطَبِ، وَلٰكِنْ لاَ أَضَعُ نَاراً. ثُمَّ تَدْعُونَ بِٱسْمِ آلِهَتِكُمْ وَأَنَا أَدْعُو بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ. وَٱلإِلٰهُ ٱلَّذِي يُجِيبُ بِنَارٍ فَهُوَ ٱللهُ**». **فَأَجَابَ جَمِيعُ ٱلشَّعْبِ: «ٱلْكَلاَمُ حَسَنٌ»** (١ملوك ١٨: ٢٢-٢٤).

الوثنيون يبدأون:

وقال إيليا لأنبياء الأوثان: «**ٱخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمْ ثَوْراً وَاحِداً وَقَرِّبُوا أَوَّلاً، لأَنَّكُمْ أَنْتُمُ ٱلأَكْثَرُ، وَٱدْعُوا بِٱسْمِ آلِهَتِكُمْ، وَلٰكِنْ لاَ تَضَعُوا نَاراً**». **فَأَخَذُوا ٱلثَّوْرَ ٱلَّذِي أُعْطِيَ لَهُمْ وَقَرَّبُوهُ، وَدَعُوا بِٱسْمِ ٱلْبَعْلِ مِنَ ٱلصَّبَاحِ إِلَى ٱلظُّهْرِ: «يَا بَعْلُ أَجِبْنَا». فَلَمْ يَكُنْ صَوْتٌ وَلاَ مُجِيبٌ. وَكَانُوا يَرْقُصُونَ حَوْلَ ٱلْمَذْبَحِ ٱلَّذِي عُمِلَ. وَعِنْدَ ٱلظُّهْرِ سَخِرَ بِهِمْ إِيلِيَّا وَقَالَ: «ٱدْعُوا بِصَوْتٍ عَالٍ لأَنَّهُ إِلٰهٌ! لَعَلَّهُ مُسْتَغْرِقٌ أَوْ فِي خَلْوَةٍ أَوْ فِي سَفَرٍ، أَوْ لَعَلَّهُ نَائِمٌ فَيَتَنَبَّهَ!» فَصَرَخُوا بِصَوْتٍ عَالٍ، وَتَقَطَّعُوا حَسَبَ عَادَتِهِمْ**

بِٱلسُّيُوفِ وَٱلرِّمَاحِ حَتَّى سَالَ مِنْهُمُ ٱلدَّمُ. وَلَمَّا جَازَ ٱلظُّهْرُ وَتَنَبَّأُوا إِلَى حِينِ إِصْعَادِ ٱلتَّقْدِمَةِ، وَلَمْ يَكُنْ صَوْتٌ وَلاَ مُجِيبٌ وَلاَ مُصْغٍ» (١ملوك ١٨: ٢٥-٣٠)، بدأ إيليا يرمّم مذبح الرب المنهدم، وأخذ اثني عشر حجراً بعدد أسباط بني إسرائيل، وعمل قناة حول المذبح ثم رتَّب الحطب وقطَّع الثور ووضعه على الحطب، وطلب أن يملأوا أربع جرات من الماء وأن يصبّوه على المحرقة وعلى الحطب. وطلب منهم أن يفعلوا ذلك ثلاث مرات، فسكبوا اثنتي عشرة جرة ماء على الذبيحة، فجرى الماء حول المذبح، وامتلأت القناة بالماء.

ثم صلى إيليا: **«أَيُّهَا ٱلرَّبُّ إِلٰهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ، لِيُعْلَمِ ٱلْيَوْمَ أَنَّكَ أَنْتَ ٱللهُ فِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنِّي أَنَا عَبْدُكَ، وَبِأَمْرِكَ قَدْ فَعَلْتُ كُلَّ هٰذِهِ ٱلأُمُورِ. ٱسْتَجِبْنِي يَا رَبُّ ٱسْتَجِبْنِي، لِيَعْلَمَ هٰذَا ٱلشَّعْبُ أَنَّكَ أَنْتَ ٱلرَّبُّ ٱلإِلٰهُ، وَأَنَّكَ أَنْتَ حَوَّلْتَ قُلُوبَهُمْ رُجُوعاً»** (١ملوك ١٨: ٣٦ و٣٧). واستجاب الله صلاة نبيّه إيليا، فنزلت نار من السماء أكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب، وتقول التوراة إنها لحست المياه التي في القناة. وما أن رأى جميع الشعب ذلك حتى سقطوا على وجوههم يصرخون: **«ٱلرَّبُّ هُوَ ٱللهُ! ٱلرَّبُّ هُوَ ٱللهُ!»** (١ملوك ١٨: ٣٩). فأمرهم إيليا أن يُمسكوا أنبياء البعل ويقتلوهم. وهنا قال إيليا للملك أخآب: «أسرع إلى بيتك فإن المطر سوف ينهمر» (١ملوك ١٨: ٢٥-٤١).

مواجهة كبيرة:

لقد تمَّت المواجهة بين الإله الحي الحقيقي القادر على كل شيء، والأوثان التي لا تنفع ولا تفيد. ولم تستطع الأوثان أن تُعين الذين صرخوا إليها، لكن الرب استجاب بنار من السماء. وهكذا استطاع الجميع أن يميّزوا من هو الإله الحقيقي صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض. وقال النبي إيليا للملك أخآب: «أسرع إلى بيتك فإنه بعد سقوط العبادة الوثنية، سوف يُنزِل الرب المطر من السماء، لتعود للأرض ثمارُها وغلَّتها».

كان إيليا ممتلئاً بالغيرة على ملكوت الله، حتى أنه دعا الله قائلاً: «لِيُعْلَم اليومَ أنك أنت الله». وكانت نفسه مليئة بالحزن على ضلال الشعب وارتداده عن العبادة الحقيقية، فكان قلبه يأكله لأنه يريد أن يُرجع الناس للعبادة الحقيقية. وهذا يذكّرنا بالقول الكريم: **«غَيْرَةُ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي»** (يوحنا ٢: ١٧).

وكان يرغب أن يعرف خطة الله ليتمّمها، فقال: «لِيُعْلم اليوم أنك أنت الله، وأني أنا عبدك، وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور». وعندما عرف إيليا خطة الله لحياته، اندفع يتمّمها بغير خوف من الملك الشرير أخآب.

هل تعلم أن الله جهَّز خطة جميلة لحياتك رتَّبها لك؟ فعليك أن تعرفها لتسلك فيها. وما أجمل ما قال الإنجيل: **«مَخْلُوقِينَ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ ٱللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا»** (أفسس ٢: ١٠).

ثم قال إيليا لبني إسرائيل: **«حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ ٱلْفِرْقَتَيْنِ؟ إِنْ كَانَ ٱلرَّبُّ هُوَ ٱللهَ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ ٱلْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ»** (١ملوك ١٨: ٢١). لقد كان الشعب يعبد الوثن، وفي الوقت نفسه يعبد الله. ولم يكن الله ولا إيليا راضيين عن هذا.

ألا ترى أن كثيرين في أيامنا هذه يعيشون ساعة لربهم وساعة لشهواتهم. إنهم يُشبِهون في سيرهم رجلاً أعرج، رجلاه غير متعادلتين، أو يشبهون خادماً يخدم سيدين وهو يحاول أن يرضيهما كليهما في وقت واحد، ولكنه لن يستطيع أن يُرضي أياً منهما. ولذلك فإن النبي إيليا، في غيرته للرب، لم يحتمل هذه الغباوة من جانب الشعب، وأعلن أنه قد حان الوقت ليقف الشعب كله وراء الرب الإله، بدون أن يُشرك في عبادته أحداً. ومن الغريب أن الشعب عندما سمع كلام إيليا: «إن كان الرب هو الله فاتَّبعوه» لم يجيبوا إيليا بكلمة واحدة، ولم يستطيعوا أن يدافعوا عن عَرجهم المؤلم بين عبادة الله وبين عبادة الوثن.

وقدم إيليا لمستمعيه تحدياً آخر. قال: **«إن الإِلهُ الَّذِي يُجِيبُ بِنَارٍ فَهُوَ اللهُ»** (١ملوك ١٨: ٢٤). وهنا تكلم الشعب وأجابوا: «الكلام حسن». لقد قدم إيليا

اقتراحه وهو واثق أن الله لا يمكن أن يخيّب منتظريه. فالله هو الحي، وهو الذي كلَّف إيليا بخدمته، وهو الذي يرسله ليقوم بتلك الرسالة. إن الله لا يخيّب رجاء الإنسان الذي يُلقي عليه كل اتكاله. وأنت إن كنت واثقاً أنك تتمّم خطة الله، فنرجوك أن تتقدم باسم الله، وعندئذ ستجد أن قُوى الطبيعة سارت في طاعتك.

ونلاحظ أن النبي إيليا خاطب مستمعيه من أنبياء البعل بكلمات سخرية لاذعة. لقد ظلوا يدْعون باسم صنمهم من الصباح إلى الظهر، وهم يرقصون حول المذبح مراراً. ولكن كما يقول كاتب المزمور المئة والخامس عشر: **«أَصْنَامُهُمْ فِضَّةٌ وَذَهَبٌ، عَمَلُ أَيْدِي ٱلنَّاسِ. لَهَا أَفْوَاهٌ وَلاَ تَتَكَلَّمُ. لَهَا أَعْيُنٌ وَلاَ تُبْصِرُ. لَهَا آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُ. لَهَا مَنَاخِرُ وَلاَ تَشُمُّ. لَهَا أَيْدٍ وَلاَ تَلْمِسُ. لَهَا أَرْجُلٌ وَلاَ تَمْشِي، وَلاَ تَنْطِقُ بِحَنَاجِرِهَا. مِثْلَهَا يَكُونُ صَانِعُوهَا، بَلْ كُلُّ مَنْ يَتَّكِلُ عَلَيْهَا»** (مزمور ١١٥: ٤-٨).

أصنام اليوم:

ونحن في هذه الأيام وإن كنا لا نعبد أصناماً، لكننا نعبد المادة، والمراكز، وشهواتنا. ولقد آن الأوان لندرك أن هذه الآلهة لن تجيب ولن تصغي لنا. وستظل حياتنا بلا دفء ولا معنى حتى نجيء إلى الله الحي الحقيقي.

ونلاحظ أن النبي إيليا قتل أنبياء الوثن جميعاً. وهذه هي النهاية الطبيعية للذين يتركون الله ويعبدون أوثاناً من صُنع أيديهم، فالكتاب المقدس يقول إن أجرة الخطية هي موت، وإن النفس التي تخطئ تموت. وكل من يبتعد عن الله يحكم على نفسه بالموت، لأنه يفصل نفسه عن مصدر الحياة. ما أجمل ما قاله الكتاب المقدس: إننا بالله نحيا ونتحرك ونوجد. وما أجمل ما قال السيد المسيح: **«إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ»** (يوحنا ١٤: ١٩).

ندعوك أن تتخذ الله إلهاً لك وسيداً لحياتك، تسلّمه القلب والحياة وتعيش في إرادته الصالحة باستمرار، لتختبر الحياة ذات المعنى وذات القيمة، كما اختبرها

نبيُّ الله إيليا.

دروس لنا:

١. طلب الله من إيليا أن يجاهد في سبيله، ليرُدَّ الشعب إلى العبادة الصحيحة. وأعطى إيليا الإيمان والشجاعة ليقوم بهذه المسئولية. وعندما يكلفك الله بعمل خدمة له فإنه يؤهلك لتقوم بها على أحسن وجه.

٢. عندما قابل إيليا الملك أخآب كان يمكن أن يغضب الملك عليه ويقتله، ولكن الله حفظ إيليا. ولقد جاء المسيح إلى العالم ليُلقي سيفاً روحياً لمحاربة إبليس وأتباعه، وليس فقط سلاماً – وقال سمعان الشيخ وهو يحمل الطفل يسوع: **«هٰذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ. وَأَنْتِ أَيْضاً يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ»** (لوقا ٢: ٣٤، ٣٥). هو في وسط هذه الحروب كلها يستر أولاده بستر جناحيه.

وكل الذين يخدمون الله يطلق العالم عليهم لقب «مكدّر» – كما قال أخآب عن إيليا. وهكذا «يكدر» النورُ العينَ المريضة، و«يكدر» الملحُ الجسمَ المجروح. ولو كانت حياة المؤمنين مع الخطاة بغير تكدير للخطاة، لكانت حياة المؤمنين مثل الملح الذي فقد ملوحته.

٣. يعلن الله عن نفسه بالنار، فحسناً قيل: **«إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ»** (عبرانيين ١٢: ٢٩). لقد قطع الله عهداً مع إبراهيم بمرور مصباح نار بين قطع الذبائح (تكوين ١٥: ١٧). وأحرق الله سدوم وعمورة بالنار (تكوين ١٩: ٢٤). وأهلك المئتين والخمسين رجلاً الذين تعاونوا مع بني قورح بالنار (العدد ١٦: ٣٥). وفي يوم الخمسين حل الروح القدس على التلاميذ واستقرَّ عليهم بألسنة كأنها من نار (أعمال ٢: ٣).

الفصل الرابع: المطر ينزل

استجاب الله صلاة إيليا، وأنزل نار السماء لتحرق الذبيحة فهتف بنو إسرائيل: «الرب هو الله». وقتل النبيُّ إيليا أنبياء الصنم الذين ضللوا الشعب، حتى لا يعودوا يُضلّون الشعب من جديد. وتاب الشعب إلى الله ودخل في عهدٍ معه.

وهنا أدرك النبي إيليا أن الله لا بد سيرفعُ العقوبة التي وقَّعها على شعبه، فتُنزل السماء مطراً. لقد قال الله لنبيّه موسى: **«إِنَّ ٱلرَّبَّ إِلٰهَكَ آتٍ بِكَ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ، أَرْضِ أَنْهَارٍ مِنْ عُيُونٍ وَغِمَارٍ تَنْبَعُ فِي ٱلْبِقَاعِ وَٱلْجِبَالِ. أَرْضِ حِنْطَةٍ وَشَعِيرٍ وَكَرْمٍ وَتِينٍ وَرُمَّانٍ. أَرْضِ زَيْتُونِ زَيْتٍ، وَعَسَلٍ. أَرْضٌ لاَ يُعْوِزُكَ فِيهَا شَيْءٌ»** (تثنية ٨: ٧-٩). ولكن خطية الناس جعلت السماء تمنع المطر. وقد كان من إنذارات الرب لشعبه أنهم في حالة الارتداد عنه **«تَكُونُ سَمَاؤُكَ ٱلَّتِي فَوْقَ رَأْسِكَ نُحَاساً، وَٱلأَرْضُ ٱلَّتِي تَحْتَكَ حَدِيداً. وَيَجْعَلُ ٱلرَّبُّ مَطَرَ أَرْضِكَ غُبَاراً، وَتُرَاباً يُنَزِّلُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ حَتَّى تَهْلِكَ»** (تثنية ٢٨: ٢٣، ٢٤) وقد حدث هذا تماماً.

ولكن ها هو الشعب يتوب، ويرجع إلى عبادة الله، فرفع عنهم الله الضربة والعقاب ولا بد أن ينزل المطر، فقال النبي إيليا للملك أخآب: «اصعد، كُلْ واشرب، لأنه حِسُّ دَويّ مطر». فذهب أخآب إلى قصره ليستمتع بوليمة كبيرة، وأما النبي إيليا فصعد إلى رأس جبل الكرمل ليصلي.

صلاة إيليا:

خرَّ إيليا إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه وأخذ يصلي متضرعاً إلى الله أن يرفع العقوبة عن الشعب بأن يُنزل المطر. وبعد وقتٍ من الصلاة أمر غلامه أن يذهب نحو البحر ليتطلَّع، لعله يرى سحاباً، فعاد الغلام يقول: إنه لم ير شيئاً. وجعل إيليا يصلي ويأمر غلامه بالذهاب للتطلُّع نحو البحر ست مرات، دون أن

يرى الغلام شيئاً. وفي المرة السابعة قال الغلام للنبي إيليا: «رأيت غيمة صغيرة: قدر كفّ إنسان صاعدة من البحر». وسرعان ما اسودّت السماء بالغيوم، وهطل مطر عظيم. لقد استجاب الله صلاة نبيه إيليا. ويقول لنا الكتاب المقدس: **«كَانَ إِيلِيَّا إِنْسَاناً تَحْتَ آلاَمٍ مِثْلَنَا، وَصَلَّى صَلاَةً أَنْ لاَ تُمْطِرَ، فَلَمْ تُمْطِرْ عَلَى ٱلأَرْضِ ثَلاَثَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ. ثُمَّ صَلَّى أَيْضاً فَأَعْطَتِ ٱلسَّمَاءُ مَطَراً وَأَخْرَجَتِ ٱلأَرْضُ ثَمَرَهَا»** (يعقوب ٥: ١٧، ١٨).

لماذا سمع الله لإيليا؟

١. أول ما جعل صلاة النبي إيليا مُستجابة، أنه بناها على موعدٍ أعطاه الله له، فقد أمره الله أن يلتقي بالملك أخآب ليقول له إن السماء ستمطر. وجعل إيليا هذا الوعد مسنَداً له يتكئ عليه ويطلب من الله بِناءً عليه أن ينزل المطر. والكتاب المقدس عامر بمواعيد الله لنا. يقول السيد المسيح: **«اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ»** (متّى ٧: ٧). وكلنا نذكر كيف صلى زكريا طالباً من الله أن يعطيه ولداً، فأرسل الله له ملاكاً يقول: **«يَا زَكَرِيَّا، لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ»** (لوقا ١: ١٣، ١٤). ولا عجب أن قال نبي الله داود: **«لِكَلِمَاتِي أَصْغِ يَا رَبُّ. تَأَمَّلْ صُرَاخِي. ٱسْتَمِعْ لِصَوْتِ دُعَائِي يَا مَلِكِي وَإِلٰهِي، لأَنِّي إِلَيْكَ أُصَلِّي. يَا رَبُّ، بِٱلْغَدَاةِ تَسْمَعُ صَوْتِي. بِٱلْغَدَاةِ أُوَجِّهُ صَلاَتِي نَحْوَكَ وَأَنْتَظِرُ»** (مزمور ٥: ١-٣).

أيها القارئ الكريم، طالب الربَّ بمواعيده فسيستجيبَ لك حتماً.

٢. واستجاب الله صلاة النبي إيليا، لأن النبي كان ينتظر بركات روحية. صحيح أنه طلب مطراً لتُعطي الأرض ثمراً، ولكنه في الوقت نفسه كان يرى أن الجدب والجفاف كانا نتيجةً للخطية والابتعاد عن الله، وكان لا بد

أن يقود بني إسرائيل إلى التوبة حتى ينزل المطر. فمتى أرسل الله مطراً يدركون أن البركة هي من عند الله. ويقول لنا الإنجيل المقدس: **«أَعَلَى أَحَدٍ بَيْنَكُمْ مَشَقَّاتٌ؟ فَلْيُصَلِّ. أَمَسْرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرَتِّلْ. أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ ٱلْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْتٍ بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ، وَصَلاَةُ ٱلإِيمَانِ تَشْفِي ٱلْمَرِيضَ وَٱلرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَرُ لَهُ»** (يعقوب ٥: ١٣–١٥).

٣. واستجاب الله صلاة النبي إيليا لأنه كان يفكر في غيره ويدعو الله لأجل الآخرين. كان الله قد أعال نبيه وأطعمه بمعجزات متنوعة، ولكنه هنا كان يطلب لصالح الشعب. والإنجيل يأمرنا أن تُقام طِلبات وصلوات وابتهالات وتشكُّرات لأجل جميع الناس (١تيموثاوس ٢: ١) وهذا يعلّمنا أن نصلي بعضُنا من أجل بعض. وتقول التوراة إن الرب ردَّ سبي أيوب لما صلى من أجل أصحابه، وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً (أيوب ٤٢: ١٠). جميل أن نصلي من أجل بلادنا ومن أجل عائلاتنا ومن أجل حُكَّامنا، فقد علَّمنا المسيح أن نصلي قائلين: «أبانا الذي في السموات» فهو أبونا كلنا. صل من أجل غيرك، ولا تركّز كل طلباتك في الصلاة لأجل نفسك.

٤. واستجاب الله صلاة إيليا، لأنها كانت صلاةً حارة من كل قلبه. عندما طلب نزول المطر قال: «استجبني يا رب استجبني». وعندما طلب نزول النار من السماء صلى سبع مرات صلوات عميقة وحارة. يطالبنا الإنجيل أن نكون حارين في الروح، عابدين الرب (رومية ١٢: ١١).

٥. واستجاب الله صلاة إيليا لأنها كانت صلاة متواضعة. تقول التوراة إنه خرَّ على الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه. لقد وقف منتصباً في شجاعة أمام الملك أخآب، لكنه ارتمى على الأرض ساجداً أمام الله، والقلب المنحني أمام الله هو الذي ينال البركة، والنفس المنكسرة قدامه هي التي تتمتع باستجابة الصلاة.

٦. واستجاب الله صلاة إيليا لأنها كانت صلاةً بإيمانٍ، تنتظرُ الاستجابة، وقد قال المسيح لنا: **«كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ، فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونَ لَكُمْ»** (مرقس ١١: ٢٤). واستجاب الله صلاة إيليا ونزل المطر من السماء. فليعطنا الله أن نصلي دائماً بانتظار استجابة الصلاة.

الفصل الخامس: إيليا يهرب

حقق النبي إيليا انتصاراً عظيماً على أنبياء الأوثان الذين عجزوا عن أن يُنزلوا ناراً تأكل ذبيحتهم، لكن الله الحي أنزل ناراً أكلت الذبيحة. ولما رأى بنو إسرائيل ذلك هتفوا كلهم: «الرب هو الله». وحقَّق إيليا أعظم انتصار كان يشتاق إليه، وأنزل الله المطر استجابة لصلاته. ولم يكن هناك أعظمَ من هذا.

وعاد الملك أخآب إلى قصره وحكى لزوجته إيزابل كل ما عمله إيليا، وكيف أنه قتل جميع أنبياء الصنم بالسيف. لم يكن أخآب متحمساً للأمور الدينية، وكان يستغرب كيف يهتم الشعب بأمور الدين، وكان كل ما يعني أخآب أن يجد ما يكفيه من الطعام والشراب، وأن يجد طعاماً لخيوله. غير أن الملكة إيزابل كانت مهتمة بدينها الوثني وكانت متحمّسة له. ولما سمعت أن النبي إيليا انتصر، خافت أن تندثر العبادة الوثنية. ولم تكن تستطيع أن تفعل شيئاً ضد النبي إيليا في يوم انتصاره العظيم، فقد كان الشعب كله يسانده ويساند العبادة الصحيحة. لذلك لجأت إلى الحيلة، فأرسلت إلى النبي إيليا شخصاً يهدّده بالموت. وكانت عباراتُ تهديدها ضعيفة، قالت: **«هٰكَذَا تَفْعَلُ ٱلآلِهَةُ وَهٰكَذَا تَزِيدُ إِنْ لَمْ أَجْعَلْ نَفْسَكَ كَنَفْسِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي نَحْوِ هٰذَا ٱلْوَقْتِ غَداً»** (١ملوك ١٩: ٢). كنا نتوقع أن النبي إيليا يقول: «أين هي آلهتك؟ ألم تصنعها يد البشر؟ إنها أوثان لا قيمة لها». وكنا نتوقع أنه يأخذ الرسالة إلى الله في ثقة كاملة، عالماً أن الله سيستره، كما يقول المرنم: **«اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ ٱلْعَلِيِّ فِي ظِلِّ ٱلْقَدِيرِ يَبِيتُ. أَقُولُ لِلرَّبِّ: «مَلْجَإِي وَحِصْنِي. إِلٰهِي فَأَتَّكِلُ عَلَيْهِ». لأَنَّهُ يُنَجِّيكَ مِنْ فَخِّ ٱلصَّيَّادِ وَمِنَ ٱلْوَبَإِ ٱلْخَطِرِ»** (مزمور ٩١: ١–٣). ولكن الغريب أن إيليا لم يفعل شيئاً من هذا، بل هرب من التهديد، وتقول التوراة إنه «مضى لأجل نفسه».

أخذ إيليا غلامه وسافر في الليل إلى جهة الجنوب حيث تنتهي مراعي فلسطين

الخضراء بصحراء العرب المترامية الأطراف، إلى مكان لا يصل إليه نفوذ الملكة إيزابل. ووصل إلى بئر سبع حيث ترك غلامه، وتوغل أكثر في الصحراء نحو الجنوب إلى سيناء. كان يسير في أشعة الشمس الحارقة على الرمال الساخنة، ولم يكن هناك غربان تعوله، ولا امرأة تعتني به كما حدث في مدينة صرفة. وظهر له كأنَّ الله قد تركه، فطلب الموت لنفسه وقال: **«كَفَى ٱلآنَ يَا رَبُّ! خُذْ نَفْسِي لأَنِّي لَسْتُ خَيْراً مِنْ آبَائِي»** (١ملوك ١٩: ٤). ولعله ردَّد كلمات مزمور قديم لداود: **«إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي كُلَّ ٱلنِّسْيَانِ! إِلَى مَتَى تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي! إِلَى مَتَى أَجْعَلُ هُمُوماً فِي نَفْسِي وَحُزْناً فِي قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ! إِلَى مَتَى يَرْتَفِعُ عَدُوِّي عَلَيَّ؟»** (مزمور ١٣: ١، ٢).

التركيز على المشكلة:

لقد أصاب اليأس النبي إيليا لأنه ركَّز نظره على نفسه، قال للرب: «بقيتُ أنا وحدي». وإحساس الإنسان بالوحدة إحساس قاتل. وعلى الإنسان منا أن يحيا دوماً بالقرب من ربه، بدرجة تحفظه من الشعور المؤلم بالوحدة، على مثال السيد المسيح الذي قال لتلاميذه قبل الصلب مباشرة: **«هُوَذَا تَأْتِي سَاعَةٌ، وَقَدْ أَتَتِ ٱلآنَ، تَتَفَرَّقُونَ فِيهَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خَاصَّتِهِ، وَتَتْرُكُونَنِي وَحْدِي. وَأَنَا لَسْتُ وَحْدِي لأَنَّ ٱلآبَ مَعِي»** (يوحنا ١٦: ٣٢).

صحيح أن غلام إيليا كان يرافقه في تلك الرحلة الطويلة إلى بئر سبع، لكن لم تكن هناك مشاركة وجدانية بين النبي وغلامه.

كثيراً ما يكون الإنسان منا وسط مجموعة كبيرة من الناس، وبالرغم من ذلك يحس بالوحدة، لعدم وجود ارتباط وجداني بينه وبين الآخرين. ونحن نحتاج إلى جماعة المؤمنين ليكونوا من حولنا، يؤازروننا ويشجعوننا. فالإنسان منا لا يستطيع أن يعيش في جزيرة، منعزلاً عن الآخرين. لذلك صلى المسيح من أجل المؤمنين قائلاً: **«لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ ٱلْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ ٱلشِّرِّيرِ»** (يوحنا

١٧: ١٥).

ونحن، عندما نحوّل نظرنا عن الله لنثبتَه على الظروف حولنا، تصيبنا خيبة الأمل والرعب، ونحتاج أن نستمع إلى ما يقوله الإنجيل المقدس عن موسى، إنه عندما ترك مصر كان غير خائف من غضب الملك، لأنه تشدَّد كأنه يرى من لا يُرى (عبرانيين ١١: ٢٧). وإيماننا ينجح دائماً عندما نرى الله ونثبّت عيوننا عليه، لذلك يقول الإنجيل لنا: **«نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ ٱلإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ»** (عبرانيين ١٢: ٢). لقد فكر إيليا كثيراً في تهديدات الملكة الشريرة إيزابل، مع أنها من تراب ورماد، ونسي أن الرب صانعه هو خالق السماء والأرض. فلما تأمل أقوال الملكة إيزابل ونسي سلطان الله، هرب إلى الصحراء لينجّي نفسه. وكم نشكر الله أنه لم يستجب صلاة إيليا عندما طلب أن يموت، وما أعظم مراحم الله عندما لا يستجيب كل صلواتنا. فنحن نطلب أحياناً ما لا ينفعنا – والله في محبته لا يعطي إلا الخير. ولذلك فهو لا يعطي كل ما نطلبه، بل يعطي كل ما نحتاج إليه، لذلك يقول المرنم: **«اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ»** (مزمور ٢٣: ١). لا يحتاج المؤمن إلى شيء ما دام مع الله، لأن الله يكفي المؤمن احتياجاته جميعاً، وخير لنا أن نترك أمورنا كلها بين يدي الله، كليّ الحكمة وكلي المحبة، فنستطيع أن نقول مع داود: **«وَيَفْرَحُ جَمِيعُ ٱلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ. إِلَى ٱلأَبَدِ يَهْتِفُونَ، وَتُظَلِّلُهُمْ. وَيَبْتَهِجُ بِكَ مُحِبُّو ٱسْمِكَ. لأَنَّكَ أَنْتَ تُبَارِكُ ٱلصِّدِّيقَ يَا رَبُّ. كَأَنَّهُ بِتُرْسٍ تُحِيطُهُ بِٱلرِّضَا»** (مزمور ٥: ١١، ١٢).

هل هو اختبار مضى؟

عندما يمرُّ الإنسان باختبار عظيم يخاف لئلا تنتهي اختباراته العظيمة، ولئلا يفارقَه الله. هذا ما حدث مع كليم الله موسى، فقال لله: **«أَنْتَ قَائِلٌ لِي أَصْعِدْ هٰذَا ٱلشَّعْبَ، وَأَنْتَ لَمْ تُعَرِّفْنِي مَنْ تُرْسِلُ مَعِي... فَٱلآنَ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَعَلِّمْنِي طَرِيقَكَ حَتَّى أَعْرِفَكَ لِكَيْ أَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ . فَقَالَ الله لموسى**

مشجّعاً: «وَجْهِي يَسِيرُ فَأُرِيحُكَ» (خروج ٣٣: ١٢-١٤) وهكذا حدث مع رسول المسيحية بطرس، فإنه بعد ما مشى على الماء مع المسيح، نظر إلى الأمواج من حوله فخاف، وبدأ يغرق، فصرخ: **«يَا رَبُّ نَجِّنِي»** (متّى ١٤: ٣٠).

صحيح أن إيليا مرَّ باختبار عظيم، لكن تهديد الملكة إيزابل له أخافه، مع أنه كان تهديداً فارغاً لا أساس له، فكان لا بد لإيليا أن يتعلم درساً آخر، وهو أن الله الذي يعمل بالنار والعاصفة، يعمل أيضاً بالهدوء.

لو أننا تركنا أنفسنا لحظة واحدة بعيداً عن الله، واستسلمنا لليأس، سنجد أننا ضيَّعْنا مكانتنا في خدمة الله، وفقدنا فرصاً عظيمة كان يمكن أن نستخدمها لردّ الضالين إلى طريق الله. ولا يستطيع أحد منا أن يقول: «إنني أكبر من أن أرتكب الخطيئة». أو يقول: «أنا لا أميل بطبعي إلى السقوط في هذا الشر. إن نفسي قويةٌ ومنيعة في هذه الناحية». فإن عدوَّ النفوس يريد أن يُسقطنا ويهاجمنا في الناحية التي نظن أننا أقوياء فيها.

إيليا يظلم:

وفي هروب إيليا ظلم كبير. أول ما فيه من ظلم، أن النبي ظلم نفسه – فلم يكمّل الخدمة التي أعطاها الله له. كان يقدر أن يواجه الملكة إيزابل كما واجه الملك أخآب بكل شجاعة، لكنه أساء تقدير قيمة نفسه.

وكان إيليا ظالماً لإلهه، فإن الله الذي كلَّفه أن يقوم بالخدمة كان لا بد سيؤهّله للقيام بها، ويعطيه الإمكانات التي تعاونه. إن الله الذي أمر الغربان أن تعول إيليا كان يمكن أن يحميه من تهديد إيزابل الشريرة.

وظلم إيليا تاريخ شعبه، فإن تاريخ بني إسرائيل عامر بمعاملات الله الحلوة. لقد أطعمهم المنَّ في الصحراء، وأرسل إليهم السلوى. ولم يجعل أحذيتهم تبلى خلال رحلة أربعين سنة.. هذا الإله هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، ولا زال يتعامل بذات

الطريقة الأمينة المُحبة مع شعبه الذين يسلكون حسب مشيئته، فإن كل من يفعل الحق يُقبل إلى النور لتظهر أعماله أنها بالله معمولة (يوحنا ٣: ٢١).

وهذا يقودنا إلى سؤال: لماذا يذكر الكتاب المقدس ضعفات المؤمنين والأتقياء؟ الإجابة: لأنه يريد أن يعلّمنا أن البشر خطاة مقصّرون «**كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ**» (إشعياء ٥٣: ٦). وليس أحد من المولودين من النساء بلا خطية إلا واحد وهو السيد المسيح. وهذا يدفعنا أن نلجأ إلى مراحم الله دائماً لنطلب غفرانه، ولنسأل معونته لنا، لنحقق قصده في حياتنا.

الله يطعم إيليا الهارب:

أرسل الله ملاكاً مسَّ إيليا برفق وناداه: «قُمْ وكُلْ». وأعطاه كعكة مخبوزة على حجارة محمَّاة في النار، يسمونها «كعكة رَضْف». ورأى كوز ماء عند رأسه، فأكل الكعكة وشرب الماء، وعاد ينام. فمسَّه ملاك الله مرة ثانية برفق وقال له: «قُمْ وكل لأن المسافة كثيرة عليك». فقام وأكل وشرب وانتعش، وابتدأ يمشي أربعين نهاراً وأربعين ليلة، حتى وصل إلى جبل الله حوريب، وهو جبل سيناء الذي أعطى الله عليه الوصايا العشر لموسى، ويسمى اليوم «جبل موسى» وتحته وادي الراحة. ووجد إيليا مغارة عند جبل حوريب بات فيها.

ترى لماذا هرب إيليا؟ الإجابة: هرب، لأنه نظر إلى الظروف من حوله أكثر مما نظر إلى الله من فوقه. قال لله: «لستُ خيراً من آبائي» ونسي إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وداود. نظر إلى بني إسرائيل الذين ضلوا عن العبادة الإلهية واستسلموا للعبادة الوثنية. ونسي أن الله يريد أن يردَّ الضال ويتوّب الخاطئ، فحتى هؤلاء الذين ضلوا إلى عبادة الوثن، عندما رأوا برهان ربهم، هتفوا: «الرب هو الله».

لقد ظن إيليا أن رسالته فشلت، ولكنها لم تفشل، لأن الله ساهر على كلمته

ليُجريها، ولأن كلمة الله أمضى من كل سيف ذي حدين، ولا بد أن تصل إلى القلوب لتعمل فيها وتغيّرها. إن لكلمة الله سلطاناً، وحيثما وُجدت يصاحبها سلطان الله.

كان إيليا قد تعب جداً بعد أن بذل مجهوداً كبيراً وهو يصارع مع أنبياء البعل على جبل الكرمل. وبعد أن قتلهم رفع صلاة حارة لله، بعدها جرى أمام مركبة الملك أخآب نحو خمسة وعشرين كيلومتراً. وقد جاء هذا المجهود الجبار بعد فترة راحة كبيرة في بيت أرملة صرفة. وبعد أن انتهت كلُّ مجهوداته العنيفة عانى من ردّ الفعل الذي يرجع إليه السبب الأكبر في كآبة النبي إيليا وانقباض نفسه. ويقول لنا المزمور المئة والثالث: إن الله يعرف جبلتنا ويذكر أننا تراب نحن، ولذلك فإنه يرثي لنا وقت ضعفنا البدني. على أننا نرجو من القارئ الكريم أن يدرك أن جسده هيكل للروح القدس، وأنه يجب أن يعتني بهذا الجسد ليستخدمه الله استخداماً ناجحاً.

الله يعاقب إيليا الهارب:

أطعم الله إيليا، وبعد ذلك سافر إلى أن وصل إلى جبل موسى في سيناء، حيث وجد مغارة بات فيها. وهناك سأله الله: «ما لك ههنا يا إيليا؟». وكأن الله يقول له: لماذا جئت إلى هذا المكان؟ ماذا تفعل عندك؟

لقد سبق لله أن أطعم نبيَّه واعتنى به وقوَّاه، ولا زال إيليا عبدَ الله وخادمَه الغيور على رسالته، رغم أنه لم يكن قد أكمل توصيلَ تلك الرسالة. كان لا يزال عليه عمل كبير ليقوم به. كان قد ترك العمل الذي كلَّفه الله به وهرب إلى هذا المكان البعيد. ولذلك سأله الله: «لماذا أنت هنا يا إيليا؟ كان يجب أن تكون مكانك وسط الشعب تقوده للعبادة الحقيقية». بهذا العتاب الرقيق يساعد الله نبيَّه ليُعيد حساباته، وليفكر من جديد في مسئوليته الروحية التي هرب منها. ولقد أعاد هذا السؤال إلى النبي إيليا رشده، فعاد يفكر في طبيعة الله وفي أهدافه. لم يكن إيليا وحيداً في

عبادة الله، لأن الله أبقى لنفسه كثيرين مؤمنين مخلصين له، ولو أنهم مختبئون غير ظاهرين. ولا شك أن السؤال الإلهي الذي يُوجَّه إلينا: «ما لك ههنا؟» يجعلنا نقول لله ما قاله داود: **«ٱخْتَبِرْنِي يَا ٱللهُ وَٱعْرِفْ قَلْبِي. ٱمْتَحِنِّي وَٱعْرِفْ أَفْكَارِي. وَٱنْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَٱهْدِنِي طَرِيقاً أَبَدِيّاً»** (مزمور ١٣٩: ٢٣ و٢٤).

وأجاب إيليا: **«غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلٰهِ ٱلْجُنُودِ لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِٱلسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا»** (١ملوك ١٩: ١٤). هذه الكلمات تعبير مؤلم عن اليأس والأسى في نفس إيليا. غريب أن إيليا يدعو الله باسم «إله الجنود» ومع ذلك يمضي ليقول له إنه بقي وحده، وإن أعداءه يريدون أن يهلكوه. كيف يمكن أن يترك الله نبيَّه في يد الأعداء، إن كان الله هو رب الجنود؟ ما أجمل أن نذكر كلمات داود في مثل هذا الموقف. قال: **«أُحِبُّكَ يَا رَبُّ يَا قُوَّتِي. ٱلرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي وَمُنْقِذِي. إِلٰهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلاَصِي وَمَلْجَإِي. أَدْعُو ٱلرَّبَّ ٱلْحَمِيدَ فَأَتَخَلَّصُ مِنْ أَعْدَائِي. ٱكْتَنَفَتْنِي حِبَالُ ٱلْمَوْتِ، وَسُيُولُ ٱلْهَلاَكِ أَفْزَعَتْنِي. حِبَالُ ٱلْهَاوِيَةِ حَاقَتْ بِي. أَشْرَاكُ ٱلْمَوْتِ ٱنْتَشَبَتْ بِي. فِي ضِيقِي دَعَوْتُ ٱلرَّبَّ وَإِلَى إِلٰهِي صَرَخْتُ، فَسَمِعَ مِنْ هَيْكَلِهِ صَوْتِي، وَصُرَاخِي قُدَّامَهُ دَخَلَ أُذُنَيْهِ. فَٱرْتَجَّتِ ٱلأَرْضُ وَٱرْتَعَشَتْ أُسُسُ ٱلْجِبَالِ. ٱرْتَعَدَتْ وَٱرْتَجَّتْ لأَنَّهُ غَضِبَ... خَلَّصَنِي لأَنَّهُ سُرَّ بِي»** (مزمور ١٨: ١-٧، ١٩). إن كنت خائفاً من ظروف قاسية حولك، وإن كنت تظن أن الله قد تركك، وأنك قد بقيت وحدك، فإننا ندعوك أن تختبر محبة الله العظيمة لك، فإن الله لا يهملك ولا يتركك، لكن عينه عليك دائماً.

الله يعلن نفسه لإيليا الهارب:

ثم أمر الله نبيَّه إيليا أن يخرج من المغارة وأن يقف على الجبل – ولكن النبي تردَّد في طاعة الأمر. ولسنا نعرف بالضبط لماذا لم يطع إيليا أمر الله فوراً، ترى هل كان يحس بالذنب؟ هل كان حزيناً على نفسه لأنه وضع نفسه في هذا الموقف

السيّء؟ غير أن الله لم ينتظر حتى يخرج إيليا إلى خارج المغارة، بل أرسل ريحاً شديدة وعاصفة قوية شقَّت الجبال وكسرت الصخور. وتقول التوراة إن الله لم يكن في الريح. وبعد أن سكنت الريح أرسل الله زلزلة قوية، وتقول التوراة إن الرب لم يكن في الزلزلة. وبعد الزلزلة نزلت نار عظيمة من السماء أضاءت أرجاء المكان كله، حتى أن الكهف المظلم استنار، ولكن الرب لم يكن في النار.

تلك كانت جميع قوى الطبيعة، وكلها في يد الرب، تظهر قوته غير المحدودة. لقد سبق أن أرسل الله ريحاً شديدة شقت مياه البحر الأحمر، فعبر بنو إسرائيل على اليابسة، بينما الماء يقف سوراً لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وعندما شرع فرعون وجنوده أن يفعلوا الشيء نفسه غرقوا. وفي نزول النار على ذبيحة إيليا أظهر الله قوته العظيمة. وكنا نتوقع أن الريح والزلزلة والنار هي العلامات المناسبة لحضور الله، فإن الله قوي جبار. غير أن الله أراد أن يبيّن لإيليا أنه الإله الرقيق المحب، فقد سمع إيليا صوتاً منخفضاً خفيفاً مسَّ قلبه وهدَّأ روعه لأنه علامة محبة الله الفائقة التي جاءت تفتش عن النبي. فلما سمع إيليا صوت الله لفَّ وجهه بردائه، علامة الاحترام، كما تفعل الملائكة المحيطة بالعرش (إشعياء ٦: ٢)، ولفَّ وجهه علامة المهابة كما غطى موسى وجهه عندما ظهر الرب له في العليقة (خروج ٣: ٦). وكل من يقترب إلى الله في العبادة والصلاة يجب أن يقترب بالثقة والاحترام.

أيها القارئ الكريم، يكلمك الله بصوت الحب المنخفض الرقيق، يدعوك للتوبة. إنه يقرع باب قلبك لترجع إليه تائباً. يدعوك في همسات حانية لتعيش له ولتترك خطيتك. فانتبه لصوت حب الله المنخفض الخفيف لك.

الله يعيد تكليف النبي الهارب:

سأل الرب: «ما لك ههنا يا إيليا؟» وكأنه يقول له: «يا إيليا، ليس هذا مكانَك». وكرر الله سؤاله، لأن إيليا لم يكن قد فهم ما قصده الرب عندما وجَّه السؤال إليه أول مرة، فقال الرب لنبيّه: «اذهب راجعاً في طريقك إلى برية دمشق». والله هنا

يُرجِع إيليا إلى عمله. لقد هرب إلى الجنوب، والله يُعيده إلى الشمال من حيث هرب. وأفضل علاج لنا في حالات يأسنا هو أن نعمل شيئاً لخدمة الله، وأن نرجع إلى موقعنا الأول في إرضاء الله. كما قال الله لملاك كنيسة أفسس: **«وَقَدِ ٱحْتَمَلْتَ وَلَكَ صَبْرٌ، وَتَعِبْتَ مِنْ أَجْلِ ٱسْمِي وَلَمْ تَكِلَّ. لٰكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ ٱلأُولَى. فَٱذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَٱعْمَلِ ٱلأَعْمَالَ ٱلأُولَى»** (رؤيا ٢: ٣-٥).

ليتنا نذكر دائماً من أين سقطنا لنرجع ونتوب.

ورجع النبي إيليا في الطريق التي كان قد هرب فيها، ومرَّ بالبلاد التي كان يخاف أن يمرَّ بها. ولكن الرب كان معه في رجوعه، وحقَّق له وعده الذي يقول: **«أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ»** (متّى ٢٨: ٢٠).

ووجَّه الرب إلى النبي أمراً أن يمسح «حزائيل» ملكاً في دمشق على أرام، وأن يمسح «ياهو بن نِمشي» ملكاً على إسرائيل، وأن يمسح «أليشع بن شافاط» نبياً عوضاً عنه. والمقصود من كلام الرب لإيليا أن الله سيُقيم في دمشق من يُجري أحكامه على بني إسرائيل، كما يُقيم في بني إسرائيل من يلاشي عبادة الأوثان. ويقيم نبياً آخر يستلم العمل من إيليا عندما ينتقل إلى حضرة الله. وفي هذا تطمين كامل للنبي إيليا أن الله ساهر على كلمته ليُجريها، وأنه غير غافل عن شيء أو قاصر عن شيء.

لقد ظن إيليا أنه الشخص الوحيد وسط شعبه الذي يعبد الله، وحتى هذا الشخص الواحد رأى أنه سيموت في سبيل الله. ولكن الله طمأن إيليا بأنه صاحب السلطان في الأرض كلها، وأن ملوك الوثنيين بين يديه يفعل بهم ما يشاء، وكل العالم في قبضة يده يحقق به مقاصده الصالحة. وما أجمل ما قال النبي إشعياء: **«هَا إِنَّ يَدَ ٱلرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقَلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ»** (إشعياء ٥٩: ١). **«لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ ٱلأَرْضَ تُخْرِجُ نَبَاتَهَا، وَكَمَا أَنَّ ٱلْجَنَّةَ تُنْبِتُ مَزْرُوعَاتِهَا، هَكَذَا ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ يُنْبِتُ بِرّاً وَتَسْبِيحاً أَمَامَ كُلِّ ٱلأُمَمِ»** (إشعياء ٦١: ١١). ويقول

الله: **«كَمَا يَنْزِلُ ٱلْمَطَرُ وَٱلثَّلْجُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَلاَ يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ، بَلْ يُرْوِيَانِ ٱلأَرْضَ وَيَجْعَلاَنِهَا تَلِدُ وَتُنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعاً لِلزَّارِعِ وَخُبْزاً لِلآكِلِ، هَكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي ٱلَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ تَرْجِعُ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ»** (إشعياء ٥٥: ١٠-١١).

دروس لنا:

١. أرسل الله ملاكاً لإيليا وهو نائم (١ملوك ١٩: ٥). كان اليأس قد ركب نفسه، وكان المكان قاحلاً كئيباً. لكن الله جعل هذه الصحراء **«بَيْتَ ٱللهِ، وَهٰذَا بَابُ ٱلسَّمَاءِ»** (تكوين ٢٨: ١٧). وهكذا يفعل معك. فعندما تُغلَق أمامك أبواب الأرض تنفتح لك أبواب السماء.

٢. كانت نَفْس إيليا مُرَّة وروحه حزينة، فلم يشعر بحاجته للغذاء، فقال الملاك له: **«قُمْ وَكُلْ»** (١ ملوك ١٩: ٥، ٧). قالها له مرتين.

أنت تحتاج لغذاء الروح كلما كنت في كآبة وحزن. والله ينبّهك لتتغذى بكلمة الحياة، الكتاب المقدس. قد ينبّهك بجوع داخلي، أو بتشجيع من صديق، أو بآية كتابية. وما أن تبدأ في أكل الكلمة حتى تنفتح شهيتك لتأكل أكثر.

٣. ظن إيليا أن الله تركه وحده، ولكن هذا الظن خاطئ تماماً، فقد قال الله له: **«أَبْقَيْتُ فِي إِسْرَائِيلَ سَبْعَةَ آلاَفٍ، كُلَّ ٱلرُّكَبِ ٱلَّتِي لَمْ تَجْثُ لِلْبَعْلِ وَكُلَّ فَمٍ لَمْ يُقَبِّلْهُ»** (١ملوك ١٩: ١٨). ونحن لا نعرف كثيراً عن هؤلاء الآلاف السبعة، غير أنهم ظلوا ثابتين في عبادة الله، يرفضون عبادة الوثن. كانوا يبكون في الخفاء على خطية الشعب، ولم يكن الملك الشرير أخآب يعرفهم، لكن الله كان يعرفهم كما يعرف الراعي الصالح خاصته وخاصته تعرفه (يوحنا ١٠: ١٤). وفي عالمنا اليوم آلاف من الذين يؤمنون بالمسيح

سراً، وهم يخافون أن يعلنوا إيمانهم، ولكن الله يعرفهم. إن عطر الزهور يعلن عن نفسه مهما أخفيته، وعمل الله في القلب البشري لا بد أن يظهر. لقد رأى الله إيمان هؤلاء وقدّره حقَّ قدره.

قد تكون ضعيفاً وإيمانك غير ظاهر، ولكن إيمانك بالمسيح ومحبتك له سيجعلانك تجاهد لتحفظ نفسك من دنس العالم. إن الله يعرفك ويحبك ويحيطك بعنايته الخاصة غير المحدودة، فليحقق الله في حياتك قول السيد المسيح: **«فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هٰكَذَا قُدَّامَ ٱلنَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ ٱلْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ»** (متّى ٥: ١٦).

٤. ومن أمر الرب لنبيه إيليا أن يمسح «حزائيل» ملكاً في دمشق، و«ياهو» ملكاً على بني إسرائيل، و«أليشع» نبياً لله، نرى تنوُّع الوسائل التي يستخدمها الله لتحقيق مقاصده في عالمنا. إن كل واحد من هؤلاء الثلاثة يختلف عن غيره، ولكن كل واحد منهم يقوم بالمأمورية الخاصة التي تدمّر العبادة الوثنية. لقد صار الملك حزائيل قضيبَ الغضب الإلهي الذي انتقم من بني إسرائيل الذين عبدوا الوثن. أما «ياهو» فقد كان آلة التعذيب التي دمَّرت بيت الملك أخآب الشرير. أما خدمة النبي «أليشع» فقد كانت الصوت المنخفض الخفيف، فإن معنى كلمة «أليشع» الله خلاصي.

صحيح أن الله متسلطٌ في مملكة الناس، يفعل إرادته الصالحة بأشخاص صالحين وبأشخاص غير صالحين. ونرجو أن تكون أنت صالحاً ليتمم الله غرضه الصالح بك. وما أجمل ما قاله يوسف الصديق لإخوته: **«أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرّاً، أَمَّا ٱللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْراً، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا ٱلْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْباً كَثِيراً»** (تكوين ٥٠: ٢٠).

الفصل السادس: كرم نابوت

عاش في مملكة الملك أخآب رجل اسمه نابوت، من بلدة يزرعيل، كان يملك حقلاً زرعه كرماً بجانب قصر الملك أخآب، فطمع الملك في حقل نابوت وطلب منه أن يبيعه له ليضمَّه إلى قصره. وعرض أن يدفع لنابوت أكثر من السعر العادي. غير أن نابوت رفض طلب الملك، لأنه لم يُرد أن يفرّط في ميراث أجداده. فغضب أخآب الملك وذهب إلى قصره حزيناً. ولاحظت الملكة إيزابل حزن زوجها أخآب، فدبرت مكيدة لتستولي على الحقل، فأرسلت إلى شيوخ بلدة نابوت وطلبت منهم أن يتَّهموه بالتجديف على الله وعلى الملك، ثم أن يرجموه عقاباً له. وفعل شيوخ المدينة ذلك وقتلوا نابوت وأبناءه بالرجم. وذهب الملك أخآب ليضمَّ حقل نابوت إلى أرضه، لأن العادة كانت أن يستولي الملك على ميراث الأموات الذين لا ورثة لهم.

وغضب الله على أخآب وزوجته إيزابل، وأمر نبيَّه إيليا أن يذهب إلى أخآب ويقول له: **«فِي ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي لَحَسَتْ فِيهِ ٱلْكِلاَبُ دَمَ نَابُوتَ تَلْحَسُ ٱلْكِلاَبُ دَمَكَ أَنْتَ أَيْضاً»** (١ملوك ٢١: ١٩). وقد تمَّت هذه النبوة تماماً – لحست الكلاب دم الملكة إيزابل والملك أخآب بعد قتلهما.

الرغبة الخاطئة:

يحذرنا الكتاب المقدس من الرغبة الخاطئة فيما لا حقَّ لنا فيه، فتقول الوصية العاشرة: **«لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ ٱمْرَأَةَ قَرِيبِكَ وَلاَ عَبْدَهُ وَلاَ أَمَتَهُ وَلاَ ثَوْرَهُ وَلاَ حِمَارَهُ وَلاَ شَيْئاً مِمَّا لِقَرِيبِكَ»** (خروج ٢٠: ١٧) وقال السيد المسيح: **«ٱنْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ ٱلطَّمَعِ»** (لوقا ١٢: ١٥). ويقول إمام الحكماء سليمان: **«فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ ٱحْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ ٱلْحَيَاةِ»** (أمثال ٤: ٢٣). وفي هذا تحذير كافٍ للإنسان منّا من أن يشتهي ما يملكه غيره.

أيها القارئ، احذر كل ما لا يريده الله لك، ولا تقبل بأقل مما يريده لك. لقد أخطأ الملك أخآب كثيراً في أنه اشتهى أن يأخذ حقل نابوت. ابتدأ ذلك الفكر الخاطئ عنده بفكر مسيطر لم يستطع أن يتحكَّم فيه. كانت مملكته كبيرة وقصره متَّسع الأرجاء – لكنه اشتهى حقلاً – حتى زوجته إيزابل رأت حقارة ما طلب، ونحن نعلم أن كل شخص بعيد عن الله لا يمكن أن يشبع من ممتلكات العالم. إن كل ما في الأرض يشبه الماء المالح، كلما شرب الإنسان منه طلب المزيد.

كانت رغبة الملك أخآب صغيرة، ولكنها أثَّرت في حياته تأثيراً عظيماً، حتى رأى أنه لا معنى لحياته بغير حقل نابوت. ورغم صِغر ذلك الحقل، إلا أنه استولى على أفكاره حتى لم يبْقَ له شيء آخر يفكّر فيه. عندما يقرّب الإنسان منا قطعة عملة فضية صغيرة من عينه فإنها تحجب نور الشمس عنه. وعندما يشتهي الإنسان منا شهوة شريرة فإنها تحجب عنه نور الله. فلنحذر من الشهوة الخاطئة، لقد كان ذلك الحقل قريباً من قصر الملك وما أصعب الشهوة وهي قريبة. لو أن الملك أخآب غيَّر مكان غرفة نومه في اتجاه بعيد عن حقل نابوت – لو أنه حتى باع قصره كله، لَحَفِظَ نفسه من خطية الشهوة.

في عالمنا أشياء كثيرة تقرّب الشهوة إلينا، من وسائل الإعلام التي تبثُّ لنا شهوات الجسد، ومن الأصحاب الفاسدين الذين يضلّلوننا عن الطريق القويم، ومن مبادئ العالم الغريبة عن المبادئ الإلهية. هذه كلها تقرِّب الشهوة إلينا، لكن هذه الشهوة الصغيرة القريبة كانت عظيمة التأثير فحكمت فكر الملك أخآب وضيّعته تماماً.

بداية صغيرة:

عندما بدأ الملك أخآب يشتهي حقل نابوت، بدأ بداية معقولة. قال إنه سيعوّض نابوت عن حقله بالفضة. وقد يبدو هذا الكلام معقولاً، لولا أنه كان ضد الشريعة التي أعطاها الله لموسى. والمشكلة في الخطية أنها تبدأ معنا عندما نفلسفها، فنحن

نعطي لكسر شريعة الله اسماً آخر، نقول: لنكن اجتماعيين.. لماذا نحرم أنفسنا؟ إن الكل يفعلون ذلك؟ ولقد خدع أخآب نفسه عندما أعطى الخطية اسماً آخر. لم يقُل: سأشتهي حقل نابوت وآخذه، ولكنه قال: سأشتريه، أو سأبادله بشيء آخر. وسرعان ما تقدمت الشهوة في نفسه أكثر وأكثر، لأن الخطيئة متحركة غير ساكنة.

لقد استخدمت إيزابل الملكة ختم الملك أخآب وجعلت رجالاً آخرين يكذبون ويدَّعون على نابوت أنه جدَّف على الله وعلى الملك. وسرعان ما قتلوا نابوت المسكين عندما اشتهى أخآب كرم نابوت – لم يكن يريد أن يقتله، ولم يكن يظن أن الأمر سينتهي هذه النهاية السيئة التي سيطرت عليه ولوَّثته بما لم يفكر فيه.

أيها القارئ، هل بدأت خطية؟ رغبة في نجاح اجتماعي بالغش؟ هل تريد أن تؤمّن مستقبلك المالي بالحرام؟ الله يحذّرك من أن تفعل هذا.

نهاية سيئة:

كانت نتيجة قتل نابوت المسكين شيئاً لم يتوقعه الملك أخآب. لما سمع أن نابوت مات قام ليرث حقله وليستمتع به، ولكن ما إن دخل ذلك الحقل حتى جاءه صوت النبي إيليا يزعجه ويقول له: «هكذا يقول الرب: لا يحلّ لك!» وتضايق الملك جداً، فقال للنبي: «هل وجدتني يا عدوي؟». مسكين أخآب! ظن أن النبي عدوه، مع أن رجل الله ليس عدوك، وصوت الضمير صديقك. وأعلن النبي إيليا عقوبة الله الشديدة على خطية الملك أخآب. لسوف يموت أخآب وزوجته إيزابل بسبب ما ارتكباه في حق نابوت المسكين البريء. إن الخطية تسبّب الموت وتضيّع السلام الداخلي، وتجيء بسحابة تحجب وجه الله عنا.

هل خطيتك في مجال المال؟ ليست حياة الإنسان من أمواله. هل خطيتك في رغبة شخصية تتملَّكك؟ قل لله: لتكن لا إرادتي يا رب، بل لتكن إرادتك أنت. مهما بدت الخطيئة مشبعة فإنها لا تشبع القلب الإنساني، فإن ما يشبع الإنسان هو عمل

مشيئة الله الصالحة المرضية الكاملة.

موت أخآب:

بعد أن قتل الملكُ أخآب نابوت، أرسل الله له النبي إيليا ليقول له: **«هَلْ قَتَلْتَ وَوَرِثْتَ أَيْضاً؟ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي لَحَسَتْ فِيهِ ٱلْكِلاَبُ دَمَ نَابُوتَ تَلْحَسُ ٱلْكِلاَبُ دَمَكَ أَنْتَ أَيْضاً»** (١ملوك ٢١: ١٩).

وقد حدث ما تنبأ به النبي إيليا، فقد خاض أخآب معركة حربية، ليستردّ مدينة راموت جلعاد من مملكة أرام. ودخل أرض المعركة متخفّياً، ولم يلبس ثيابه الملكية حتى لا يُعرف. ولكن سهماً طائشاً أصابه بجرح مميت، وجرى دم الجرح في مركبته الحربية. ومات عند المساء. وغسلوا مركبته الحربية في بركة السامرة، فلحست الكلاب دمه، تماماً كما قال إيليا (١ملوك ٢٢: ٣٨).

موت إيزابل:

وتنبأ النبي إيليا أيضاً أن الكلاب ستأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل (١ملوك ٢١: ٢٣). وقد تحققت هذه النبوة، لما حدث انقلاب عسكري ضد بيت الملك أخآب، بقيادة القائد «ياهو». كحلت الملكة إيزابل عينيها وتزينت، وتطلعت من نافذة القصر إلى ياهو، فأمر ياهو بقذفها إلى الشارع، فنفَّذ رجال القصر ذلك، وسال دمها على الحائط وعلى الخيل التي داستها. وتركوا جثتها في الشارع. ولما جاءوا ليدفنوها لم يجدوا سوى الجمجمة والرجلين وكفَّي اليدين، فقد أكلت الكلاب بقية الجثة (٢ملوك ٩: ٣٠-٣٧). وهكذا عوقبت خطية الضلال عن الله، وحقَّق الله ما قاله النبي إيليا.

الفصل السابع: إيليا يعلّم الملكين أخزيا ويهورام

مات الملك أخآب الشرير الذي قاد بني إسرائيل لعبادة الأوثان، وملك بدلاً منه ابنُه الملك أخزيا. وكان أخزيا شريراً مثل أبيه، تقول التوراة عنه أنه: «**عَمِلَ ٱلشَّرَّ فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ، وَسَارَ فِي طَرِيقِ أَبِيهِ وَطَرِيقِ أُمِّهِ، وَطَرِيقِ يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ ٱلَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ وَعَبَدَ ٱلْبَعْلَ وَسَجَدَ لَهُ وَأَغَاظَ ٱلرَّبَّ إِلٰهَ إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ أَبُوهُ**» (١ملوك ٢٢: ٥٢ و٥٣). من المؤلم أن الملك أخزيا لم يتعلم شيئاً من اختبارات أبيه الذي مات في خطيته، ولا بد أنه سمع في صدر شبابه كيف أنزل الله ناراً من السماء بينما عجزت الأصنام عن أن تفعل ذلك، ولكن هذا لم يغيّر طريقة تفكير أخزيا، ولم يَردَّه إلى عبادة الرب.

الملك أخزيا يقع:

وذات يوم كان الملك أخزيا يتمشَّى على سطح قصره في السامرة، واستند إلى كوَّة هوَتْ به إلى الأرض، فأصابته رضوض وجروح كثيرة. ولم يتجه فكر الملك أخزيا إلى الله بل اتجه فكره إلى صنم اسمه بعلزبوب، ومعناه «إله الذباب». وقد كان أهل مدينة عقرون يعبدون إله الذباب هذا، ليمنع عنهم شرور الذباب. ولمَّا كان الذباب يتوالد في الأقذار، فقد رأى فيه الوثنيون إلهاً، لأنهم رأوا حياة الذبابة تنبعث من وسط القاذورات. ولما امتنع بنو إسرائيل عن عبادة الأوثان أطلقوا على الصنم بعلزبوب اسم رئيس الشياطين، وسمُّوه أيضاً بعلزبول، بمعنى سيد الأقذار. ولما كان أهل عقرون يؤمنون أن بعلزبوب يشفي من المرض، فقد أرسل الملك أخزيا يسأل بعلزبوب – إله الذباب – وهذا دليل على أن أخزيا لم يكن يؤمن بالرب.

إيليا يقابل رسل أخزيا:

وأرسل الله ملاكاً لنبيّه إيليا يقول له: «**ٱصْعَدْ لِلِقَاءِ رُسُلِ مَلِكِ ٱلسَّامِرَةِ وَقُلْ لَهُمْ:**

هَلْ لأَنَّهُ لاَ يُوجَدُ فِي إِسْرَائِيلَ إِلٰهٌ، تَذْهَبُونَ لِتَسْأَلُوا بَعْلَ زَبُوبَ إِلٰهَ عَقْرُونَ؟ فَلِذٰلِكَ هٰكَذَا قَالَ ٱلرَّبُّ: إِنَّ ٱلسَّرِيرَ ٱلَّذِي صَعِدْتَ عَلَيْهِ لاَ تَنْزِلُ عَنْهُ بَلْ مَوْتاً تَمُوتُ» (٢ملوك ١: ٣-٤). وأطاع إيليا دعوة الله، وذهب يقابل رسل الملك أخزيا قبل أن يصلوا إلى عقرون، وأبلغهم تلك الرسالة. فرجع الرسل إلى الملك أخزيا. واستغرب الملك سرعة عودتهم، وسألهم عما حدث، فقالوا له: قابلنا رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويه، ثم أبلغوه رسالة النبي إيليا. وأدرك الملك أخزيا أن النبي إيليا هو الذي كلَّمهم، واغتاظ من إيليا كثيراً، وقرر أن ينتقم منه، فأرسل إليه ضابطاً مع خمسين جندياً، فصعد الضابط وجنوده إلى رأس الجبل واستدعى النبي ليلتقي بالملك، فقال إيليا: **«إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ ٱللهِ فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَٱلْخَمْسِينَ ٱلَّذِينَ لَكَ»** (٢ملوك ١: ١٠). فنزلت نار من السماء وأهلكت الضابط وجنوده الخمسين.

ولم يفهم الملك أخزيا رسالة الله له، فأرسل ضابطاً آخر ومعه خمسين جندياً آخرين، ومرة أخرى أمر إيليا أن تنزل نار الله لتلتهمهم، فهلكوا.

ومرة ثالثة لم يفهم الملك أخزيا الدرس الذي أراد الله أن يعلّمه له، فأرسل ضابطاً ثالثاً ومعه خمسين جندياً آخرين. ولكن الضابط الثالث كان قد فهم رسالة الرب مما حلَّ بالضابطين السابقين. فعندما وصل إلى حيث كان النبي إيليا، ركع أمامه وقال: «يا رجل الله، لتكرم نفسي وأنفس عبيدك هؤلاء الخمسين في عينيك. لقد نزلَتْ نار من السماء فأكلت رئيسيّ الخمسينين الأوَّلين وخمسينيهما، والآن فلتكرم نفسي في عينيك». فقال ملاك الرب لإيليا: «انزل مع هذا الضابط». فتوجَّه إيليا مع الضابط إلى الملك. وقال النبي للملك: «هكذا قال الرب: من أجل أنك أرسلْتَ رسلاً لتسأل بعلزبوب إله عقرون – ألا يوجد في إسرائيل إله لتسمع كلامه؟ لذلك السرير الذي صعدت عليه لا تنزل عنه، بل موتاً تموت». ولم تحرك هذه الكلمات الملك أخزيا ليتوب، بل استمر في عبادته الوثنية. فمات أخزيا كما قال الله على فم نبيه إيليا.

درسان:

من هذه القصة المؤلمة نتعلم درسين:

١. كان الملك أخزيا جاهلاً. قال المرنم: **«قَالَ ٱلْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: «لَيْسَ إِلٰهٌ»** (مزمور ١٤: ١). لم يؤمن أخزيا في صباه بالله الحقيقي الذي أنزل النار من السماء، ولم يتعلم مِن قتل الضابط الأول والثاني مع جنودهما. وحتى عندما ذهب إليه النبي إيليا ليخبره بقول الرب لم يتُبْ، بل استمر في ضلاله وعبادته الوثنية. إننا لا نحتاج إلى معجزة لنؤمن، لكن القلب المنكسر والمنسحق أمام الله هو الذي يدرك صوت الله ويتوب. إننا ندعوك أن تدرك بيّنات الله لك لتتوب.

٢. أنزل إيليا ناراً من السماء لتلتهم القائدين مع جنودهما. هذه روح العهد القديم وروح التوراة. ولكن العهد الجديد، عهد الإنجيل، يختلف تماماً عن ذلك، فالإنجيل يعلّمنا أن اثنين من تلاميذ المسيح، هما يعقوب ويوحنا، طلبا من السيد المسيح أن يُنزل ناراً من السماء تُفني السامريين الذين رفضوا قبول المسيح في بلدهم، ولكن المسيح وبَّخهما (لوقا ٩: ٥٥). لئن كنا نجد في التوراة عقاب الله على الخطاة فإننا نجد في الإنجيل شفقة الله على الأشرار، فلم يرسل الله المسيح إلى العالم ليدين العالم بل ليخْلُص به العالم.

يختلف زمان النبي إيليا عن زمان السيد المسيح. في زمن إيليا ظهر غضب الله برهاناً مقنعاً على وجود الله وقدرته. أما في مجيء المسيح إلى عالمنا وموته بدلاً عنا، فقد ظهرت محبة الله لنا، لذلك نلخّص الإنجيل كله في آية تقول: **«لأَنَّهُ هٰكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلأَبَدِيَّةُ»** (يوحنا ٣: ١٦). العهد القديم ينبّر على عظمة الله أما العهد الجديد فينبّر على محبة الله. ونحن ندعو القارئ الكريم أن يختبر الله في

كمال محبته. إن الله عظيم – هذا صحيح – لكن الله محبة. وعظمة الله وقدرته هي في خدمة محبته ورحمته **«اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي ٱلْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي ٱللهِ وَٱللهُ فِيهِ»** (١يوحنا ٤: ١٦).

رسالة من إيليا للملك يهورام:

ذكرت لنا التوراة المقدسة أن النبي إيليا أرسل رسالة إلى الملك يهورام، الذي كان ملكاً على المملكة الجنوبية، ونعلم من تاريخ بني إسرائيل أن مملكة الملك سليمان انقسمت إلى قسمين: المملكة الشمالية وعاصمتها السامرة، وكانت تتكوَّن من عشرة أسباط. والمملكة الجنوبية وعاصمتها أورشليم وكانت تُعرف بمملكة يهوذا. وكان الله قد دعا النبي إيليا ليخدم المملكة الشمالية، حيث ملَك الملكُ الشرير أخآب، ولكن الله كلَّف نبيه إيليا أن يُرسل رسالة إلى الملك الجنوبي يهورام. لم يذهب النبي إيليا إلى المملكة الجنوبية، لكنه اكتفى بأن أرسل تلك الرسالة، وهذا يوضح لنا أن النبي إيليا لم يكن يقبل أبداً فكرة المملكة المنقسمة، وكان يعتقد أن شعب الله واحد في كل مكان. لقد ظهر اقتناعُه هذا عندما بنى مذبحاً قدم عليه الذبيحة التي التهمتها النار من السماء، فقد أقام ذلك المذبح من إثني عشر حجراً، ترمز لأسباط بني إسرائيل الإثني عشر متَّحدين معاً، لذلك لا نستغرب من أن يرسل النبي إيليا رسالة إلى ملك يهوذا – الملك يهورام، ملك المملكة الجنوبية. وقال النبي إيليا في رسالته: **«هٰكَذَا قَالَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ دَاوُدَ أَبِيكَ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ لَمْ تَسْلُكْ فِي طُرُقِ يَهُوشَافَاطَ أَبِيكَ وَطُرُقِ آسَا مَلِكِ يَهُوذَا، بَلْ سَلَكْتَ فِي طُرُقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ، وَجَعَلْتَ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ يَزْنُونَ كَزِنَا بَيْتِ أَخْآبَ، وَقَتَلْتَ أَيْضاً إِخْوَتَكَ مِنْ بَيْتِ أَبِيكَ ٱلَّذِينَ هُمْ أَفْضَلُ مِنْكَ، هُوَذَا يَضْرِبُ ٱلرَّبُّ شَعْبَكَ وَبَنِيكَ وَنِسَاءَكَ وَكُلَّ مَالِكَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً. وَإِيَّاكَ بِأَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ بِدَاءِ أَمْعَائِكَ حَتَّى تَخْرُجَ أَمْعَاؤُكَ بِسَبَبِ ٱلْمَرَضِ يَوْماً فَيَوْماً»** (٢أخبار أيام ٢١: ١٢–١٥).

كان الملك يهورام قد خلف أباه الملك يهوشافاط الذي كان ملكاً فاضلاً،

فثبَّت الربُ مملكة يهوشافاط وأعطاه الغنى والكرامة. وكانت تقوى الله في قلب يهوشافاط، فنزع أماكن عبادة الوثن من كل أنحاء مملكته، وأطلق على ابنه اسم «يهورام» بمعنى «الله مرتفع». ولكن يهورام لم يعْطِ اللهَ المكانةَ الأولى في قلبه، وضلَّ عن العبادة الصحيحة، وتزوج بنت الملك أخآب، فارتكب الملك يهورام الشر وضل. ومن يضلله الشيطان ويخدعه يجعله يرتكب الحماقات، فكان أول ما عمل الملك يهورام أنه قتل إخوته الستة، مع جماعة من قادة الشعب.

درسان من رسالة إيليا ليهورام:

ويمكن أن نتعلم من شرور يهورام أمرين: الأمر الأول: أن الدين لا يُورَّث. لقد كان أبوه الملك يهوشافاط تقياً، ولكن يهورام لم يكن كذلك. صحيح أن الآباء الأتقياء يعطون القدوة الطيبة لأولادهم، لكن الأبناء يجب أن يأخذوا قراراً بالحياة لله وبالتوبة له وبإرضائه. يقول الإنجيل: **«كُلُّ ٱلَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ ٱللهِ، أَيِ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱسْمِهِ. ٱلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ ٱللهِ»** (يوحنا ١: ١٢، ١٣). وكلمات الإنجيل هذه تعلّمنا أن الذين يولدون من رجل تقي لا يكونون بالضرورة أتقياء، لأنهم يجب أن يُولدوا من الله. نقول في أمثالنا الدارجة إن النار تخلّف رماداً، وهذا ما حدث مع يهورام. على أن كل إنسان منا يحتاج إلى اختبار جديد في المسيح يغيّر حياته. قال أحد الوعاظ المشهورين: «يمكن أن يُولد إنسان في مَرْأبٍ (جراج) للسيارات، ولكن هذا لا يجعل منه سيارة. وقد يولد إنسان في بيت تقي، لكن هذا لا يجعل منه إنساناً تقياً».

ندعوك أن تفتح قلبك لله، لتنشئ أنت شخصياً علاقة شخصية قوية بالرب. إن إيمان أبيك لا ينفعك. ينبغي أن يكون لك أنت شخصياً الإيمان القوي العميق بالله، والحب القوي الذي يربط قلبك به.

وهناك درس آخر نتعلمه من خطية يهورام: إن الشر يُميت الشرير. كان يهورام

ملكاً، لكنه أُصيب بمرض خطير حتى خرجت أمعاؤه كلها بسبب المرض يوماً بعد يوم، حتى مات. ولم يستطع طبُّ بلاده أن ينفعه شيئاً. وعندما مات تقول التوراة إنه: **«ذَهَبَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ، وَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ، وَلٰكِنْ لَيْسَ فِي قُبُورِ ٱلْمُلُوكِ»** (٢أخبار ٢١: ٢٠).

يقول الإنجيل إن الخطية خاطئة جداً، ويقول الكتاب المقدس إن: **«أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وإن اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ»** (رومية ٦: ٢٣ وحزقيال ١٨: ٤).

إننا ندعو كل قارئ أن يتوب ليبتعد عن الخطية، وليخلُصَ من أجرة الخطية.

الخدمة للجميع:

نودّ أن نتأمل الرسالة التي كتبها النبي إيليا إلى الملك الشرير يهورام يحذّره من العبادة الوثنية والانحراف عن عبادة الله، لنتعلم من إيليا كيف نخدم الله كما يريد الله لنا أن نخدمه. لقد رأى إيليا نفسه مسئولاً أن يقدم رسالة الله ليهورام الشرير، بالرغم من أنه لم يكن مقيماً في مملكته. كان إيليا يحسُّ أن خدمته تمتد إلى العالم كله. وهكذا يجب أن يفعل كل أولاد الله، فيهتمّون بالخطاة أينما كانوا. لقد ضرب المسيح لنا مثل الزارع الذي ذكر فيه أن الزارع خرج ليزرع، فألقى بذاره على كل أنواع الأرض. وقال المسيح تفسيراً للمثل: إن الحقل هو العالم. فالعالم كله يجب أن يكون محل مشغوليتنا. قال المسيح: **«ٱرْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ وَٱنْظُرُوا ٱلْحُقُولَ إِنَّهَا قَدِ ٱبْيَضَّتْ لِلْحَصَادِ»** (يوحنا ٤: ٣٥). لقد رأى إيليا مسئوليته نحو الملك البعيد، وهذه رؤية واسعة وقلب كبير، يرى العالم كله موضوع مسئوليته. ولما لم يستطع إيليا أن يخدم بلسانه، خدم بقلمه، فأرسل تلك الرسالة إلى يهورام.

ندعوك أن تخدم الله بكل طريقة ممكنة: أن تقدم نصيحة مكتوبة، أو نصيحة شفوية. وسواء قبل مستمعك هذه النصيحة أو لم يقبلها، فإنك تكون قد أبلغت ولك خير الجزاء من الله.

الفصل الثامن: إيليا يصعد للسماء

نجيء في تأملنا في حياة نبي الله إيليا إلى إصعاده للسماء بغير موت، فقد أخذ إيليا تلميذه أليشع من الجلجال متَّجهاً إلى بيت إيل، وكان فيها مقرٌّ للأنبياء. وكان النبي إيليا قد عرف وقت انتقاله إلى السماء، وربما عرف تلميذه أليشع أيضاً أن إيليا سيفارقه. كان إيليا على وشك الوقوف أمام الرب في السماء، وكان على أليشع أن يتسلَّم مسئوليات خدمة الله، بكل ما فيها من امتيازات ومتاعب. فقال النبي إيليا لأليشع: **«إِنَّ ٱلرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَى بَيْتِ إِيلَ»** (٢ملوك ٢: ٢). وكان الرب قد كشف لنبيه إيليا حوادث تلك الساعات الأخيرة من حياته، وكلَّفه أن يزور الأنبياء في أماكنهم المختلفة ليقدّم لهم وصاياه وتشجيعاته الأخيرة قبل انتقاله إلى السماء.

ولا ندري لماذا طلب إيليا من أليشع أن يبقى في الجلجال ليذهب هو وحده إلى بيت إيل. ربما أشفق على أليشع من أن يرى منظر انتقال معلِّمه إلى السماء. أو ربما قصد أن يمتحن محبة أليشع وأمانته. ولقد أظهر أليشع محبة شديدة لأستاذه النبي إيليا، فقال له: «حي هو الرب، وحيَّة هي نفسك، أني لا أتركك». فذهبا معاً إلى بيت إيل. وخرج بنو الأنبياء الذين في بيت إيل إلى أليشع، وقالوا له: **«أَتَعْلَمُ أَنَّهُ ٱلْيَوْمَ يَأْخُذُ ٱلرَّبُّ سَيِّدَكَ مِنْ عَلَى رَأْسِكَ؟» فَقَالَ: «نَعَمْ، إِنِّي أَعْلَمُ فَٱصْمُتُوا»** (٢ملوك ٢: ٣). وبنو الأنبياء هؤلاء هم التلاميذ في مدرسة الأنبياء، وكان رئيسهم في مرتبة أبيهم. وربما عرفوا أن انتقال النبي إيليا إلى السماء قريب – إما بإعلان من الله أو من النبي إيليا نفسه. أما أليشع فلم يكن راغباً في الكلام لكثرة حزنه.

ثم قال إيليا لتلميذه أليشع: «أمكث هنا لأن الرب قد أرسلني إلى الأردن». فأصرَّ أليشع أن يصحبه في تلك الرحلة، فذهبا معاً، واجتمع خمسون رجلاً من بني الأنبياء ووقفوا يراقبون إيليا وأليشع من بعيد. ووجود خمسين من بني الأنبياء يدلّ على أن عدد المؤمنين كان كثيراً، وربما لجأ كل الذين يعبدون الرب إلى تلك

المدارس خوفاً من اضطهاد الملك أخآب.

إيليا يشق نهر الأردن:

وأخذ النبيُّ إيليا رداءه ولفَّه وضرب به ماء نهر الأردن، فانفلق النهر، وعبر إيليا وتلميذه أليشع على اليبس. لقد قام إيليا هنا بمعجزة تشبه معجزة موسى الذي شق البحر الأحمر، ومثل المعجزة التي قام بها يشوع الذي فلق نهر الأردن. وكان عمل إيليا شهادة للشعب لينتبهوا إلى كلامه ويؤمنوا بالإله الحي. وبعد أن عبر إيليا وأليشع نهر الأردن قال إيليا لتلميذه أليشع: **«اُطْلُبْ مَاذَا أَفْعَلُ لَكَ قَبْلَ أَنْ أُوخَذَ مِنْكَ». فَقَالَ أَلِيشَعُ: «لِيَكُنْ نَصِيبُ اثْنَيْنِ مِنْ رُوحِكَ عَلَيَّ»** (٢ملوك ٢: ٩). فقال إيليا: **«صَعَّبْتَ السُّؤَالَ. فَإِنْ رَأَيْتَنِي أُوخَذُ مِنْكَ يَكُونُ لَكَ كَذٰلِكَ، وَإِلاَّ فَلاَ يَكُونُ»** (٢ملوك ٢: ١٠).

لم يكن عند إيليا مال ليتركه لتلميذه أليشع، ولكنه كان يدرك أن بركة الله أعظم كثيراً من المال. وطلب أليشع نصيب اثنين من روح إيليا، بمعنى أنه سيكون الابن البكر للنبي، لأن الابن البكر هو الذي يأخذ نصيب اثنين. وكان هذا يعني أن يكون كالبكر بين الأولاد، رئيساً للأنبياء. ولا ننسب لأليشع هنا الطمع ولا الكبرياء، لكن ننسب إليه الرغبة القوية في أن يخدم الله. وكانت إجابة إيليا له: «صعَّبتَ السؤال». بمعنى أنه ليس لإيليا أن يختار خليفته، لكن الرب هو الذي يعيّن.

مركبة نار تأخذ إيليا:

وسرعان ما جاءت مركبة من نار وخيل من نار وفصلت بين إيليا وتلميذه أليشع. وصعد إيليا في العاصفة إلى السماء، وكان أليشع يرى وهو يصرخ: **«يَا أَبِي، يَا أَبِي، مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا»** (٢ملوك ٢: ١٢). وقول أليشع: «يا أبي» دليل على محبته لإيليا. أما وصفه لإيليا بأنه «مركبة إسرائيل وفرسانها» فمعناه أن إيليا وحده يشبه جيشاً كاملاً لحماية الشعب. وهذا صحيح، فقد كان إيليا أفضل من

فرسان كثيرين، لأن به كان الرب يرشد شعبه، يحذرهم وينصرهم. وعندما أُصعد إيليا إلى السماء مزق أليشع ثيابه حزناً على فراق أستاذه.

لم يمُتْ نبيُّ الله إيليا، لكنه أُخذ إلى السماء بغير موت، في مركبة من نار تجرُّها خيول من نار. وكان هذا شيئاً هاماً يعلّم الشعب أن ينتبهوا إلى العالم الروحي الذي يدخله الأبرار. الناس دوماً يغرقون لآذانهم في ملذاتهم وأكلهم وشربهم وزواجهم وكسبهم المادي، بينما الله يريد أن يعلّمهم أن ينظروا إلى أعلى – إلى الباقي وليس إلى البائد. وإصعاد الله لإيليا في مركبة نارية شهادة من الله لخادمه أنه لم يكن مثير متاعب، كما اتهمه الملك الشرير أخآب بأنه مكدر إسرائيل. ولكن الله كان يختم على خدمة إيليا أنه خادم أمين، عرَّف الناس العبادة الحقيقية لله.

إن الموت بالنسبة للمؤمن ليس موتاً لكنه انتقال، فالمؤمن يحيا هنا على الأرض مع الله، ثم ينتقل ليكون في السماء مع الله – ليس هو موتاً لكنه انتقال – وانتقال إيليا بهذه الطريقة يرينا كيف ستتغيَّر أجساد القديسين عندما يأتي المسيح ثانية من السماء ليأخذهم ليكونوا معه فيهتفون: **«أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟»** (١كورنثوس ١٥: ٥٥).

ندعوك لتفتح قلبك لله، ليحل المسيح بالإيمان في قلبك، وعندها تختبر الحياة الأبدية التي لك في الله بواسطة المسيح. وقد قال السيد المسيح في صلاته الشفاعية: **«هٰذِهِ هِيَ ٱلْحَيَاةُ ٱلأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ ٱلإِلٰهَ ٱلْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ ٱلْمَسِيحَ ٱلَّذِي أَرْسَلْتَهُ»** (يوحنا ١٧: ٣).

الفصل التاسع: إيليا في الإنجيل

تُحدثنا التوراة عن مجيء إيليا آخر يسبق مجيئُه مجيءَ المسيح إلى عالم البشر. وقد تنبأ أنبياء التوراة أن الحالة قبل مجيء المسيح ستكون في غاية السوء من الناحية الدينية والسياسية، فيجيء إيليا ليهيّئ الطريق لمجيء المسيح الذي يصلح الأحوال السيئة. وقد ظهر يوحنا المعمدان قبل مجيء المسيح مباشرة، يعظ الناس بالتوبة مبكّتاً إياهم على خطاياهم، فأخذ كثيرون يتساءلون إن كان هذا هو المسيح الآتي الذي ينتظرونه، أو إن كان هو النبيّ إيليا الذي سيجهّز الطريق لمجيء المسيح (يوحنا ١: ٢١).

وبعد أن قطع هيرودس رئيس الربع رأس يوحنا المعمدان، سمع بمعجزات المسيح، فملأت نفسه المخاوف، لأن قوماً كانوا يقولون إن يوحنا المعمدان قد قام من الأموات، وقوماً إن النبي إيليا قد ظهر (لوقا ٩: ٧، ٨).

وقبل ظهور إيليا على جبل التجلي مع موسى، سأل السيد المسيح تلاميذه: **«مَنْ يَقُولُ ٱلنَّاسُ إِنِّي أَنَا ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ؟» فَقَالُوا: «قَوْمٌ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ إِيلِيَّا»** (متّى ١٦: ١٣، ١٤).

وبعد أن رأى ثلاثةٌ من تلاميذ المسيح أمجاد التجلّي على الجبل – أوصاهم المسيح وهم نازلون من الجبل قائلاً: **«لاَ تُعْلِمُوا أَحَداً بِمَا رَأَيْتُمْ حَتَّى يَقُومَ ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ مِنَ ٱلأَمْوَاتِ». وَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ: «فَلِمَاذَا يَقُولُ ٱلْكَتَبَةُ إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ: «إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَلٰكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا. كَذٰلِكَ ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ أَيْضاً سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ». حِينَئِذٍ فَهِمَ ٱلتَّلاَمِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانِ»** (متّى ١٧: ٩–١٣).

من هذا كله يتضح لنا أن اليهود كانوا يتوقَّعون مجيء إيليا قبل مجيء المسيح،

وقد بنوا كلماتهم هذه على ما جاء في نبوة ملاخي: **«هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا ٱلنَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ ٱلرَّبِّ ٱلْيَوْمِ ٱلْعَظِيمِ وَٱلْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ ٱلآبَاءِ عَلَى ٱلأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ ٱلأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ»** (ملاخي ٤: ٥، ٦). وقد توقَّع اليهود أن يجيء إيليا نفسهُ. ولكن تفسير السيد المسيح أظهر لنا أن إيليا الذي كان يجب أن يجيء ليهيّئ الطريق لمجيء المسيح، هو إيليا روحي، إيليا آخر، ولقد جاء يوحنا المعمدان بنفس روح إيليا، وبنفس طريقة وعظه، فهيَّأ الطريق لمجيء المسيح.

المعمدان بروح إيليا:

قال السيد المسيح إن مجيء يوحنا المعمدان هو مجيء إيليا المنتظَر، فقد قال عن يوحنا المعمدان: **«هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي ٱلَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ ٱلْمَوْلُودِينَ مِنَ ٱلنِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانِ، وَلٰكِنَّ ٱلأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَمِنْ أَيَّامِ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانِ إِلَى ٱلآنَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَٱلْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ. لأَنَّ جَمِيعَ ٱلأَنْبِيَاءِ وَٱلنَّامُوسَ إِلَى يُوحَنَّا تَنَبَّأُوا. وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا، فَهٰذَا هُوَ إِيلِيَّا ٱلْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ»** (متّى ١١: ١٠–١٥).

ومما يؤيد هذه الفكرة أن ملاك الرب وقف عن يمين مذبح البخور، حيث كان زكريا يبخّر وقال له: **«طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَٱمْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ٱبْناً وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَٱبْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ، لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ ٱلرَّبِّ، وَخَمْراً وَمُسْكِراً لاَ يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى ٱلرَّبِّ إِلٰهِهِمْ. وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ ٱلآبَاءِ إِلَى ٱلأَبْنَاءِ، وَٱلْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ ٱلأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدّاً»** (لوقا ١: ١٣–١٧).

في هذه الكلمات اقتبس ملاك الرب، ولعله جبرائيل، نبوة النبي ملاخي، وقال إنها ستتحقق في يوحنا المعمدان الذي يتقدم أمام المسيح بروح إيليا وقوته. إذاً إيليا

الثاني هو إيليا روحي: هو يوحنا المعمدان.

ولو أننا تأملنا حياة يوحنا المعمدان لوجدنا أن شخصيته وعمله يشابهان شخصية النبي إيليا وعمله. في المنظر الخارجي كان الاثنان متشابهين، فكلاهما عاش في الصحراء، وبدأت خدمتهما الدينية لله بطريقة مباشرة (قارن ١ملوك ١٧: ١ ولوقا ٣: ٢). وكان الإثنان يلبسان نفس الملابس: لباس من وبر الإبل وعلى وسطه حزام من جلد (٢ملوك ١: ٨ ومتّى ٣: ١٤). ولم يكن عمل إيليا تقديم رسالة جديدة من عند الله، ولكن هدفه كان أن يُعيد الشعب إلى العهد القديم مع الله، إلى سلطان الله. لقد تهدَّمت العبادة التي علَّم بها موسى، وإيليا يُعيدها إلى أصلها، وهكذا كان عمل يوحنا المعمدان أن يردّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، ويردَّ قلوب الأبناء إلى الآباء، والعصاةَ إلى فكر الأبرار. وهذا يعني أن عمل المعمدان ليس خَلْق عبادة جديدة، ولا تقديم أفكار جديدة، لكن تثبيت العهود القديمة بين الناس وإلههم. لقد كان المعمدان جباراً في وعظه وتوبيخه للناس، بغضّ النظر عن مستواهم الاجتماعي، شأنه في ذلك شأن إيليا الذي كان يوبخ الملك. فقد كان يقول: **«ٱلآنَ قَدْ وُضِعَتِ ٱلْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ ٱلشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي ٱلنَّارِ»** (لوقا ٣: ٩) ولقد التقى المعمدان بهيرودس وجهاً لوجه ووبَّخه، لأنه تزوَّج بامرأة أخيه، كما واجه إيليا الملك الشرير أخآب، وبعده ابنه أخزيا. لقد تحققت نبوة النبي ملاخي بمجيء سابقٍ للسيد المسيح، يهيّئ الطريق أمامه، تكون له روح إيليا وقوته. وجاء إيليا الثاني يوحنا المعمدان.

إننا باحترام كبير ننظر إلى إيليا النبي، الإنسان الذي سلم نفسه لله، وكان واقفاً أمام الله باستمرار، فاستمدَّ القوة من عرش النعمة، فدعا كل الشعب ليرجعوا إلى عهودهم المقدسة الأولى. وهكذا فعل يوحنا المعمدان وهو يدعو قائلاً: **«أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلٰكِنِ ٱلَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، ٱلَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ وَنَارٍ. ٱلَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى ٱلْمَخْزَنِ، وَأَمَّا ٱلتِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ»** (متّى ٣: ١١، ١٢).

هي دعوة لك للتوبة!

على جبل التجلي:

بعد أن صعد النبي إيليا إلى السماء في مركبة نارية تجرُّها خيول من نار، عاد إلى أرضنا مرة أخرى على جبل التجلي، ليلتقي بالسيد المسيح ومعه موسى. فعلى جبل حرمون العالي صعد السيد المسيح مع تلاميذه بطرس ويوحنا ويعقوب وابتدأ يصلي، وبينما هو يصلي تجلَّت هيئة وجهه وصارت ثيابه بيضاء لامعة. وجاء رجلان ليتحدثا معه هما موسى وإيليا، اللذان ظهرا بمجد، وتكلما عن خروجه الذي كان على وشك أن يكمله في أورشليم ليموت على الصليب. وأما بطرس ويعقوب ويوحنا فكانوا قد تثقلوا بالنوم، فلما استيقظوا رأوا مجد المسيح والرجلين الواقفين معه. وفيما موسى وإيليا يفارقان المسيح، قال بطرس ليسوع: **«يَا رَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هٰهُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ. لَكَ وَاحِدَةٌ، وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ»**. وهو لا يعلم ما يقول **وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ، وَصَوْتٌ مِنَ ٱلسَّحَابَةِ قَائِلاً: «هٰذَا هُوَ ٱبْنِي ٱلْحَبِيبُ ٱلَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ ٱسْمَعُوا»** (متّى ١٧: ١-١٣، مرقس ٩: ٢-١٣، لوقا ٩: ٢٨-٣٦).

ترى لماذا اختار الله موسى وإيليا ليلتقيا بالسيد المسيح على الجبل في هذه المناسبة الجليلة؟ لقد كان موسى وإيليا ممثِّلين للعهد القديم كله. موسى يمثل الشريعة والناموس، وإيليا يمثّل الأنبياء. وكأن الشريعة كلها والأنبياء جميعاً يتطلعون إلى مجيء السيد المسيح إلى أرضنا، فموسى وإيليا معاً يشهدان بمجد السيد المسيح. وكان لهذا الظهور أثر عظيم في نفوس التلاميذ، وفي نفوسنا نحن اليوم عندما نقرأ عن هذا. لقد اختار الله موسى وإيليا ليقابلا السيد المسيح، لأن الاثنين فارقا عالمنا بطريقة تختلف عن الطريق التي يفارق بها البشر العاديون أرضنا. فموسى لم يمُت من تأثير المرض أو الشيخوخة، لكنه انتقل إلى السماء وسط مظاهر ترحيب الله، فانطلقت روحه إلى المجد دون أن يعاني آلام الموت، وقام الله نفسُه بدفْن

جسده في مكان لا يعرفه أحد غيرُ الله. أما إيليا فلم يمُت، ولم يصَب بمرض أو بشيخوخة، لكنه انطلق إلى السماء في مركبة نارية تجرُّها خيول من نار. ونحن لا نستطيع أن ندرك هذه الأسرار العجيبة، ولكننا نعلم أن هذين الشخصين الممتازين رجعا إلى أرضنا ليقدّما للسيد المسيح شهادة أنه هو مشتهَى كل الأمم ومنتظر كل الأجيال.

ونعتقد أن هناك سبباً ثالثاً جعل الله يرسل موسى وإيليا ليلتقيا بالسيد المسيح على جبل التجلي، وهو أنهما يعلنان أن خدمتهما تمَّت بمجيء المسيح. قال فيلبس عن المسيح: **«وَجَدْنَا ٱلَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي ٱلنَّامُوسِ وَٱلأَنْبِيَاءُ»** (يوحنا ١: ٤٥). وقال السيد المسيح: **«هُوَ** (موسى) **كَتَبَ عَنِّي»** (يوحنا ٥: ٤٦). وعندما جاء السيد المسيح أرضنا متواضعاً لم يستطع البشر أن يدركوا حقيقة شخصه، حتى أن بطرس قال له: «يا سيد نصنع ثلاث مظال: لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة» ليساوي بين موسى وإيليا والمسيح. ولكن الله شاء أن يرجع موسى وإيليا مرة أخرى إلى السماء، ويبقى المسيح وحده وسط التلاميذ، ليسمعوا صوتاً سماوياً يقول: «هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا». وكأن الله يقول: «لا تضعوا أنفسكم تحت شريعة موسى، ولا تكتفوا بالأنبياء، مهما سمت تعاليمهم، لكن قدِّموا الطاعة والإكرام للسيد المسيح». لقد ظهر البَطَلان العظيمان موسى وإيليا على جبل التجلي للحظات قليلة، عادا بعدها إلى المجد الذي جاءا منه، بعد أن شهدا لعظمة المسيح، وكان انسحابُهما من المشهد تنبيراً على ضرورة وضع التفكير كله في شخص المسيح.

موضوع حديث التجلي:

ترى ماذا كان موضوع الحديث الذي دار بين موسى وإيليا والسيد المسيح على جبل التجلي؟ يقول لنا الإنجيل المقدس: «إنهما ظهرا بمجد، وتكلما عن خروج المسيح الذي كان عتيداً أن يكمّله في أورشليم». لم يتحدث موسى وإيليا عن أخبار

السماء، ولا عن ماضيهما العجيب ولا عن اختباراتهما في خدمة الله، ولا عن المستقبل البعيد، لكنهما تحدثا عن حادثة قريبة على وشك أن تحدث هي صَلْب المسيح. إن الأشخاص العظماء يتحدثون في مواضيع عظيمة، وهذا هو أعظم موضوع تحدث عنه موسى وإيليا. كان موسى يذكر كيف رفع الحية في البرية، حتى أن كل من نظر إليها نال الشفاء، وهو يعلم أنه **«كَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ»** (يوحنا ٣: ١٤، ١٥). وكان إيليا يدرك أن الله لم يظهر له في الزوبعة ولا في الزلزلة ولا في النار، ولكن في الصوت المنخفض الخفيف. وها هو المسيح المصلوب يعلن في صوت محب رقيق أن: **«هٰكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلأَبَدِيَّةُ»** (يوحنا ٣: ١٦). كان المسيح قد قال لتلاميذه إنه ينبغي أن ابن الإنسان يتألم كثيراً، ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، وفي اليوم الثالث يقوم. فقال له التلاميذ: **«حَاشَاكَ يَا رَبُّ!»** (متّى ١٦: ٢٢) لأنهم لم يكونوا يريدون له موتاً ولا صلْباً، لكن عظمة ومُلكاً. فجاء صوت السماء يقول: «هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا». ولقد كان موسى وإيليا يتكلمان عن صليبه الكريم، الذي فيه وبواسطته يجد البشر خلاص نفوسهم. ففي الصليب نجد حلاً لمشكلة خطية البشرية، ونجد الخلاص، لأن في الصليب تصالحت عدالة الله مع رحمته، فاستوفى العدل الإلهي حقه وبرهنت المحبة الإلهية ذاتها.

إن خير حديث نحدّثك به الآن هو ما تحدث به موسى وإيليا مع السيد المسيح على جبل التجلي. إن المسيح قد مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، ليوجِد لك خلاصاً أبدياً.. فهل تقبله؟

الفصل العاشر: إيليا البطل العظيم

ظهر النبي إيليا على مسرح التاريخ عندما كانت حياة بني إسرائيل الدينية في هاوية ارتدادها، فقد ارتدَّ الشعب عن عبادة الله ارتداداً أليماً وعبدوا الأوثان، كان ملكهم أخآب غير متديّن ولا يهتم كثيراً بالدين، بينما كانت زوجته إيزابل متدينة غاية التديُّن، متعصبة لدين آبائها في عبادة الأوثان. فترك الملك الحبل على الغارب لزوجته وأنبياء أصنامها. وعندما تحدَّى النبي إيليا رجال الأوثان وأنزل النار من السماء، لم يهتم الملك أخآب كثيراً أو قليلاً بالأمر، كأنه لا يعنيه، بل كأنه كان يستغرب اهتمام الناس بالدين، فقد كان الملك مهتماً بصالحه الشخصي ونموه الاقتصادي، أكثر جداً من حياة الدولة الدينية. لقد بنى قصراً من العاج، وبنى مدناً كثيرة، لكنه لم يبْن الحياة الإيمانية لشعبه. وعندما رأى أخآب أنبياء الأوثان يقتلون رجال الله ويضطهدونهم، لم يحاول أن يُرسي قواعد العدل في مملكته، حتى بدا كأن عبادة الله انتهت تماماً، لدرجة أننا سمعنا إيليا يقول: «بقيت أنا وحدي». في تلك الظروف المظلمة امتلأ إيليا بالضيق من العبادة الوثنية، ومن اضمحلال نفوذ شريعة الرب ومن الظلمة المحيطة به، فقرَّر أن يُعيد الشعب إلى عهده السابق مع الله. لم يقدم النبي إيليا أفكاراً جديدة، ولم يدْعُ لواجبات جديدة، ولكنه أراد أن يوقظ ضمير الأمة كلها. وكما قال السيد المسيح إن إيليا يأتي أولاً ويردّ كل شيء، فقد كانت رسالته تهدف إلى ردّ الشعب للعبادة الصحيحة كما أعطاها الله لكليمه موسى. ولذلك وقف يقدم رسالة نارية للناس.

نبي الدينونة والنار:

والنبي إيليا هو نبي الدينونة والنار، وكان رجل عمل أكثر مما هو رجل كلام. كان متوحّداً في قلبه وفكره، يضع نفسه تماماً بين يدي الله، وينتظر إلهه، وكانت أول كلماته: **«حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ»** (٢ملوك ١٧: ١).

وقد تعامل معه الإله الحي دائماً، وجاءه كلام الرب: «انطلق من هنا واتجه نحو المشرق، واختبئ عند نهر كريث، فتشرب من النهر. وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك». وأطاع إيليا مباشرة ودون مناقشة ولا جدال، ودون أن يسأل كيف – أطاع بِناءً على ثقة كاملة في الله.

وعندما جفَّ ماء النهر كان كلام الرب له ثانية أن يذهب إلى أرملة لتعوله في صرفة. ولقد فعل بغير تردّد. وبعد ما هرب من أمام إيزابل الملكة، أصدر الله لإيليا أمراً أن يلتقي بالملك أخآب بعد أن استولى على حقل نابوت، ففعل، وفي غير خوف مضى يقابل الملك ليعلن له دينونة الله. ولم يظهر ضعف إيليا إلا مرة واحدة عندما هددته الملكة إيزابل بالقتل، فهرب لنفسه ومضى إلى صحراء سيناء بعيداً عن نفوذ الملكة إيزابل.

على أننا في حياة إيليا كلها نرى اعتماده الكلي على الله مؤمناً به. وحتى عندما طلب منه تلميذه أليشع أن يعطيه نصيب اثنين من روحه، قال له: «صعَّبت السؤال». وهو بهذا يلقي الموضوع كله بين يدي الله. لقد تميَّز النبي إيليا بالهدف الواحد والرؤية الواحدة. لم يكن له هدف في الحياة إلا أن يقود بني إسرائيل إلى العبادة الحقيقية.

نبي الشجاعة:

وهناك صفة أخرى من صفات إيليا هي الشجاعة العظيمة، كأنه يقول ما قاله المرنم: **«أَعْطَيْتَ خَائِفِيكَ رَايَةً تُرْفَعُ لأَجْلِ ٱلْحَقِّ. لِكَيْ يَنْجُوَ أَحِبَّاؤُكَ. خَلِّصْ بِيَمِينِكَ وَٱسْتَجِبْ لِي»** (مزمور ٦٠: ٤، ٥).

وقف النبي إيليا أمام الملك أخآب ثلاث مرات. في المرة الأولى قال له: **«حَيٌّ هُوَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ إِسْرَائِيلَ ٱلَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هٰذِهِ ٱلسِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي»** (١ملوك ١٧: ٢). وفي المرة الثانية التقى بالملك بعد ثلاث سنوات،

فما أن رآه أخآب حتى قال له: «أنت هو مكدّر إسرائيل». فأجابه: **«أَنَا لَمَ أُكَدِّرْ إِسْرَائِيلَ، بَلْ أَنْتَ وَبَيْتُ أَبِيكَ بِتَرْكِكُمْ وَصَايَا ٱلرَّبِّ وَبِسَيْرِكَ وَرَاءَ ٱلْبَعْلِيمِ»** (١ملوك ١٨: ١٨). وفي المرة الثالثة التقى بالملك عند حقل نابوت، بعد أن قتل الملك نابوت وأخذ حقله، وما أن رأى أخآب إيليا حتى قال له: **«هَلْ وَجَدْتَنِي يَا عَدُوِّي؟» فَقَالَ: «قَدْ وَجَدْتُكَ لأَنَّكَ قَدْ بِعْتَ نَفْسَكَ لِعَمَلِ ٱلشَّرِّ فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ. هَئَنَذَا أَجْلِبُ عَلَيْكَ شَرّاً، وَأُبِيدُ نَسْلَكَ»** (١ملوك ٢١: ٢٠ و٢١).

وكان هذا النبي الشجاع خشناً غاية الخشونة مع أعداء الرب، حتى أنه ذبح أنبياء البعل الأربعمائة والخمسين، وأنزل ناراً من السماء أحرقت الضابطين ومئة جندي. على أننا يجب أن لا ننسى أن هذا الرجل الخشن كان قلبه عامراً بالحب لتلميذه أليشع، ولأرملة صرفة، ولأبناء الأنبياء الذين زارهم قبل أن يصعد إلى السماء مباشرة. لكن طابع شخصيته الأساسي كان الشجاعة والخشونة.

نبي الطاعة والصلاة:

قال إيليا إنه عبد الله وخادمه ونبيُّه، وأثبت صِدق هذا كله بما أجراه الله على يديه. لقد كان النبي إيليا دوماً يقف أمام الله وقوف الخادم أمام سيده، منتظراً توجيهات سيده. كان يكلم الله بالصلاة، وكان مستعداً دوماً أن يعمل مشيئته. وما أكثر احتياجنا في هذه الأيام إلى نبي مثل إيليا! وقليلون في عالمنا اليوم يؤمنون بالله الحي كما آمن النبي إيليا، لأن البشر عادة يهتمون بما يريدون وبما يلمسون، وهم يشكُّون فيما لا يلمسونه. وكثيرون من الناس لا يريدون أن يؤمنوا بالإله الحي لأن إيمانهم يعني أنهم سيكونون مسئولين أمام هذا الإله الحي، وهم لا يريدون أن يتحمَّلوا مسئولية تُجاه أحد، ويريدون أن يسيروا في طريقهم كما يشاؤون، بغير رقابة من إله حي. إنهم يريدون أن يتمتعوا بالمنظور الملموس، ولذلك فإنهم يضعون قلوبهم وأفكارهم على الماديات.

مكانته في العهد الجديد:

ولنبي الله إيليا مكانة عظيمة في العهد الجديد كما رأينا في الفصل التاسع. كان الكتبة والفريسيون اليهود يعتقدون أن لا سلطان ليوحنا المعمدان أن يعمد، ما لم يكن هو المسيح أو إيليا أو النبي (يوحنا ١: ٢٥). ويذكر الرسول بولس النبي إيليا في حديثه في الأصحاح الحادي عشر من رسالة رومية ليوضح أنه قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة (رومية ١١: ٢-٥) ويرى رسول المسيحية يعقوب في النبي إيليا مثالاً رائعاً لقوة الصلاة (يعقوب ٥: ١٧) ويتحدث تلاميذ السيد المسيح إليه عن قوة إيليا التي أنزلت ناراً من السماء أفنت الأعداء (لوقا ٩: ٥٤).

يقف النبي إيليا على صفحات التوراة كواحد من أعظم الشخصيات الفريدة، لا يفوقه إلا كليم الله موسى. هذا هو النبي الناري الذي هيأ الطريق للرب، ولمجيء رجاء العالم، السيد المسيح.

مسابقة في حياة إيليا

إن جاوبت إجابة صحيحة عن خمسة عشر سؤالاً من الأسئلة العشرين التالية نرسل لك كتاب جائزة. اكتب اسمك بوضوح وعنوانك كاملين داخل الخطاب وليس على مظروفه فقط.

١. ما هو اسم النبي إيليا في اللغة الآرامية، وما هو معناه؟
٢. ما هو الشاهد الكتابي الذي اعتمد عليه إيليا في منع المطر؟
٣. لماذا قال الله لإيليا «أمرت الغربان أن تعولك هناك»؟
٤. ماذا حدث للزيت والدقيق وابن الأرملة؟
٥. ما هي علامات النبي الحقيقي؟
٦. ما هي الأسباب التي قدمها عوبديا لإخفاء إيمانه؟
٧. ما هي الأصنام التي يعبدها الناس اليوم؟
٨. اشرح معنى الآية «إلهنا نار آكلة».
٩. لماذا استجاب الله صلاة إيليا بنزول المطر؟
١٠. لماذا هرب إيليا من تهديد إيزابل؟
١١. لماذا أطعم الملاك إيليا، وماذا نتعلم من هذا اليوم؟
١٢. كيف أعلن الله ذاته للنبي الهارب إيليا؟
١٣. ماذا نتعلم من تكليف الله لإيليا أن يمسح ثلاثة أشخاص؟
١٤. ماذا كان عقاب الله على أخآب وإيزابل؟
١٥. ماذا نتعلم من رسالة النبي إيليا للملك يهورام؟
١٦. كيف دخل إيليا للسماء، وماذا نتعلم من ذلك؟

١٧. كيف جهز إيليا الطريق لمجيء المسيح للعالم؟ (متّى ١١: ١-١٥).
١٨. ماذا كان موضوع الحديث على جبل التجلي؟
١٩. اذكر صفة هامة من صفات النبي إيليا، واشرحها.
٢٠. اشرح مكانة إيليا في العهد الجديد.

Call of Hope · P.O.Box 10 08 27 · 70007 Stuttgart · Germany